γ

جامعة الخرطوم
كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات الإسلامية

بحث بعنوان:

ابن عطية ومنهجه في تفسيره المحرر الوجيز

مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية
(التفسير وعلوم القرآن)

إعداد الطالبة:
إسلام فرح الخليفة سليمان

إشراف الدكتور:
محمـــــود المبارك أحمد

2007م

φ

{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}
فاطر (28)

صدق الله العظيم

الإهـــــداء

إلى أمي وأبي أحق الناس بحسن صحابتي
(حباً وبراً وعرفاناً)
إلى كل من علمني حرفاً
إلى زملائي في طريق العلم

الشكر

{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} الاحقاف (15)

يطيب لي أن اتقدم بوافر الشكر والعرفان لأستاذي الجليل دكتور محمود المبارك الذي تحمل مشقة الإشراف على البحث وكانت لعنايته وتوجيهه وإرشاده اكبر الفضل في انجاز هذه الدراسة فجزاه الله عني خير الجزاء، ومتعه بالصحة والعافية.

والشكر أجزله لشقيقتي الدكتورة أماني فرح الخليفة التي كان لها الفضل حتى خرج البحث بهذه الصورة فأسأل الله أن يجعل هذا في ميزان حسناتها. والشكر لأسرة مكتبة قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الخرطوم والأخوات سعاد الزبير وسارة الطريفي.

والشكر لأسرة مكتبة جامعة الخرطوم الرئيسية ومكتبة كلية الآداب ومكتبة كلية القانون.

كما أخص بالشكر أسرة مكتبة التيجاني سعيد ومكتبة جامعة أم درمان الإسلامية.

والشكر للأخ سفيان آدم وفقه الله وسدد خطاه والشكر موصول إلى كل من ساهم في إخراج هذا البحث بجهده ووقته وماله.

المحتويات

الموضـــــوع		رقم الصفحة
الآية	.....	أ
الإهـ ـ ـ ـ ـ ـ داء	.....	ب
الشـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـكر	.....	ج
المحتويات		د
ملخص الدراسة باللغة العربية	.....	ز
ملخص الدراسة باللغة الانجليزية	.....	ح
المقـ ـ ـ ـ ـ ـ دمة	.....	1
الفصل الأول ابن عطيه عصره وشخصيته		
المبحث الاول: عصر ابن عطيه	.....	5
المطلب الأول: الحالة السياسية	.....	5
المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية	.....	9
المطلب الثالث: الحالة العلمية	.....	12
المبحث الثاني: التعريف بابن عطيه	.....	21
المطلب الاول: اسمه، كنيته ونسبه	.....	21
المطلب الثاني: مولده ونشآته	.....	23
المطلب الثالث: شيوخه	.....	26
المطلب الرابع: تلاميذه	.....	28
المطلب الخامس: مذهبه الفقهي	.....	30
المطلب السادس: آثاره العلمية	.....	31
المطلب السابع: وفاته وثناء العلماء عليه	.....	32
الفصل الثاني		

التعريف بالمحرر الوجيز
المبحث الاول: مجال الكتاب 35
المبحث الثاني: ترتيب الكتاب وتبويبه 40
المبحث الثالث: أثر التفاسير السابقة في الكتاب 48
المبحث الرابع: أثر الكتاب في التفاسير اللاحقة 56

الفصل الثالث
علوم القرآن في تفسير ابن عطيه
المبحث الاول: أسباب النزول 74
المبحث الثاني: الناسخ والمنسوخ 79
المبحث الثالث: المكي والمدني 83
المبحث الرابع: أسماء السور وفواتحها 86

الفصل الرابع
منهج ابن عطيه في التفسير
المبحث الاول: اعتماده على القرآن والسنة 94
المبحث الثاني: اعتماده على المأثور من الصحابة 103
والتابعين
المبحث الثالث: موقف ابن عطيه من الإسرائيليات 112
المبحث الرابع: اتجاه ابن عطيه في تفسيره إلى اللغة 118
والنحو
المبحث الخامس: موقف ابن عطيه من القراءات 121
المبحث السادس: موقف ابن عطيه من الأحكام الفقهيه
..... 125
الخاتمة 131
المصادر والمراجع 134

ملخص الدراسة

هذا البحث عن ابن عطية ومنهجه في تفسيره "المحرر الوجيز" في تفسير الكتاب العزيز ويتكون من أربعة فصول. الفصل الأول: ويتكون من مبحثين؛ المبحث الأول عن عصر ابن عطية، الحالة السياسية، الحالة الاجتماعية، والحالة العلمية. والمبحث الثاني: يحتوي على ترجمة ضافية لحياة ابن عطية؛ اسمه، كنيته، نسبه، مولده ونشأته، شيوخه وتلاميذه، مذهبه الفقهي، آثاره العلمية، وفاته وثناء العلماء عليه.

اما الفصل الثاني فيتكون من أربعة مباحث. المبحث الأول: مجال الكتاب، الثاني: ترتيب الكتاب وتبويبه، الثالث: أثر التفاسير السابقة في الكتاب، الرابع: أثر الكتاب في التفاسير اللاحقة.

والفصل الثالث جعلناه للحديث عن موقف ابن عطية من العلوم التي لها علاقة بالتفسير مثل أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، المكي والمدني وأسماء السور وفواتحها.

الفصل الرابع: منهج ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز. ويتكون من ستة مباحث المبحث الأول: اعتماده على القرآن والسنة، الثاني: اعتماده على المأثور من الصحابة والتابعين، المبحث الثالث: موقف ابن عطية من الإسرائيليات، الرابع: اتجاه ابن عطية في تفسيره إلى اللغة والنحو، الخامس: موقف ابن عطية من القراءات والسادس موقف ابن عطية من الأحكام الفقهية ثم خاتمة موجزة حوت ملخص البحث ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

Abstract

This research is about Ibn Atiyyah and his method of Quranic interpretation. It is composed of four chapters:

The first chapter is composed of two sections. Section one is about the era of Ibn Atiyyah, and it contains the political, social and scientific status. Section two is a comprehensive translation of his Teachers, his name, nick name, relatives, his birth and his initiation, his religious men, his students, Juristic school, and his scientific efforts. It also contains the date of his death and the acknowledgement of the religion men.

The second chapter is composed of four sections, the first one is about the field of the book. Section two is about the organization of the book. The third section discusses the effect of the previous interpretation in the book. The fourth section which is the last one, discusses the effect of the subsequent interpretation.

Chapter three deals with the position of Ibn Atiyyah concerning the Quranic science that are related to the interpretation such as revelation causes, oblitrater and obliterated (Nasikh and munsoukh), the division of Qurain into Meccan and Medinian chapters, and the names and the Beginning of Alsowar.

Chapter four deals with Ibn Atiyyah and his method of interpretation of Almoharrir Alwageze. It's composed of six sections. The first one is about the Quranic Chapter interpretation mainly: the Quran and prophetic traditions (Sunna). The second section is about dependence on sayings from sahaba and Tabeen. The third section is about the position (attitude) of Ibn Atiyyah jurstic Israileyate whereas the forth section is the trend of Ibn Atiyyah in interpretation by using language and grammar. The fifth one is about his attitude towords the types of readings. The sixth section is about the attitude of Ibn Atiyyah to religious regulations, in addition to the conclusion abstract and a list of references.

γ

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من أجل النعم التي يسديها الله عز وجل للعبد في هذه الدنيا، أن يكون خادماً للقرآن الكريم متعبداً بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار دارساً لرسمه مفسراً لمعانيه.

سبب اختيار الموضوع:

لقد كانت رغبتي في دراسة مناهج التفسير للتعرف على منهج السلف الصالح في فهم كتاب الله وتدبره على الوجه الأمثل واختيار ما نحتاج إليه في عصرنا الحاضر. والواقع أنه لشرف عظيم ان يعيش الباحث في ظلال القرآن الكريم يستفيد منه ويفيد فهو الدستور العظيم والكتاب المقدس الذي تنطلق به السنتنا وينتظم به سلوكنا وتتعزز به وحدتنا وكل دراسة فيه أو فيما يتعلق به تشريف للدارس ونور يضيء له الطريق ولذلك عندما أردت اختيار موضوع للبحث أحببت إنتقاء تفسير من التفاسير لدراسة حياة صاحبة والوقوف على منهجه في التفسير ومعرفة ما قيل فيه سلباً وإيجاباً وما ذكر فيه من الاستحسان وما سجل عليه من المآخذ مع مقارنته بتفاسير أخرى سابقة له ولاحقة به لمعرفة قيمته العلمية.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية الموضوع في الآتي:-

أولاً: يعتبر ذلك دراسة في المقام الأول لأحد أعلام الإسلام الذين أفنوا اعمارهم وبذلوا جهودهم في التصنيف والتأليف لإبراز العلوم الإسلامية المختلفة وخدمتها.

ثانياً: تفسير ابن عطيه من أوائل الكتب التي ألفت في هذا المجال الأمر الذي يجعله كتاباً متميزاً ومتفرداً على كثير من التفاسير.

ثالثاً: ما لهذا التفسير من قيمة علمية غير معروفة لبعض الناس يمكن إبرازها والاستفادة منها.

الدراسات السابقة:

سبقت هذه الدراسة دراسات أخرى منها:-

- منهج ابن عطية في التفسير للدكتور عبد الوهاب فايد.
- استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان (رسالة دكتوراه منشورة للدكتور شايع بن عبده بن شايع الأسمر) (كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).
- تفسير ابن عطية من أول سورة الزاريات إلى آخر سورة الحديد تحقيق ودراسة (رسالة ماجستير للدكتور علي بن إبراهيم الناجي).
- الدرس النحوي في تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز (دراسة نحو نصية للباحث الليبي محمد الحسين مليطان).
- كتاب المنهج اللغوي في تفسير ابن عطية الأندلسي للدكتور يس جاسم المحيمد (أستاذ النحو والصرف وعلوم القرآن بجامعة الإيمان – صنعاء – إصدارات جامعة الإيمان).

المنهج المتبع في كتابة البحث:

اتبعت الباحثة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي وذلك لأنه يناسب مثل هذا النوع من الدراسة

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أجعله في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة. الفصل الأول: عن ابن عطية عصره وشخصيته ويتكون من مبحثين؛ المبحث الأول: عصر ابن عطية وفيه ثلاث مطالب؛ الأول الحالة: السياسية، الثاني: الحالة الاجتماعية، الثالث: الحالة العلمية. والمبحث الثاني: التعريف بابن عطية. ويتكون من سبعة مطالب؛ الأول أسمه، كنيته، ونسبه. الثاني مولده ونشأته. الثالث: شيوخه، والرابع: تلاميذه، الخامس: مذهبه الفقهي. السادس آثاره العلمية. السابع: وفاته وثناء العلماء عليه. الفصل الثاني: التعريف بالمحرر الوجيز وفيه أربعة مباحث؛ المبحث الأول: مجال الكتاب، المبحث الثاني: ترتيب الكتاب وتبويبه المبحث الثالث: أثر التفاسير السابقة في الكتاب، المبحث الرابع: أثر الكتاب في التفاسير اللاحقة.

الفصل الثالث علوم القرآن في تفسير ابن عطية وفيه أربعة مباحث؛ الأول: أسباب النزول، الثاني: المكي والمدني، الثالث: الناسخ والمنسوخ، الرابع: أسماء السور وفواتحها.

الفصل الرابع: منهج ابن عطية في التفسير. ويتكون من ستة مباحث؛ المبحث الأول: اعتماده على القرآن والسنة، الثاني: اعتماده على المأثور من الصحابة والتابعين، المبحث الثالث: موقف ابن عطية من الإسرائيليات، الرابع: اتجاه ابن عطية في تفسيره إلى اللغة والنحو، الخامس: موقف ابن عطية من القراءات، السادس: موقف ابن عطية من الأحكام الفقهية.

أما الخاتمة فقد اشتملت على نتائج البحث، وقد قابلتني بعض العقبات اليسيرة وقد تجاوزتها بحمد الله وفضله منها قلة البحوث والدراسات الحديثة التي درست حياة ابن عطية وتفسيره ولكنني أتخذت من التفسير نفسه حقلاً ميدانياً للدراسة ولقد التزمت بتخريج الأحاديث وعرضت في الخاتمة تلخيصاً مركزاً للبحث وذكرت النتائج التي توصلت إليها.

الفصل الأول
المبحث الأول
عصر ابن عطية

المطلب الأول: الحالة السياسية:

إن سمات أي شخصية تعكس ما في بيئتها وعصرها من الملامح الظاهرة في شتى المجالات ولهذا فلا بد لدراسة أي علم من الأعلام من دراسة عصره وبيئته لملاحظة مقدار تأثره بها وتأثيره عليها وذلك لأن ما في العصر من تيارات مختلفة سياسية كانت أو اجتماعية أو علمية كلها تؤثر في تكوين الشخصية فالإنسان وليد عصره ونتاج له فيؤثر كل فرد حسب استعداده في الأخذ والعطاء بمقدار ما وهبه الله من ملكة وفطنة وإدراك. وهكذا فالناس يختلفون في مدى تأثرهم بكل ما يحيط بهم من ملابسات العصر حسب استعدادهم.

عاصر ابن عطية العصر المرابطي، وكان مولده بعد عامين من معركة الزلاقة*، التي انتصر فيها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين على الجيوش النصرانية، وعاش في عصر المرابطين الذين قضوا على الخطر الصليبي وقضوا على حكم الطوائف.

أما إذا أردنا التحدث عن الأندلس قبل عصر المرابطين فنجد أن في الوقت الذي نجح فيه يوسف بن تاشفين في تأسيس دولة كبيرة في المغرب الأقصى كانت الأحداث تتطور تطوراً سريعاً في الأندلس فقد كانت وحدة الأندلس قد تمزقت إلى دويلات صغيرة صقلبية وعربية وبربرية، وتبع ذلك انهيار قوة الإسلام العسكرية تبعاً لهذا التمزق السياسي الأمر الذي يسر أمام دول النصرانية وعلى الأخص قشتاله مهمة التهام هذه الدويلات وإخضاعها الواحدة تلو الأخرى، ففي الوقت الذي استغرق الترف واللهو ملوك الطوائف كانوا يدرءون عنهم ملوك النصارى لدفع الجزية لهم إلا أن تنبهوا بسقوط طليطلة عام 487هـ - 1085م على يد الفونسو السادس ملك قشتاله فقد جاء سقوطها نذيراً بما يترصد الإسلام في الأندلس من أخطار جسام وارتج الأندلس كله لهذه الحادثة رجة عنيفة وشعر الأندلسيون أن أمر الأندلس كله إلى ضياع. وقد كان من

---

* الزلاقة أرض بالأندلس بقرب قرطبة كانت عندها وقعة في أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مع ملك الإفرنج، معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ - 1984م، ج3، ص 146.

الضروري أن تتحد القوى الإسلامية في الأندلس لمواجهة هذا الخطر المسيحي ولكن ما حدث كان نقيض ذلك فقد بادر ملوك الطوائف إلى استرضاء الفونسو السادس وقبلوا بدفع الجزية له وإرسال الهدايا المختلفة تقرباً له. وعلى الرغم من أن ملك المسلمين قد رضوا بهذا الذل إلا أن الفونسو السادس لم يقنع بذلك بل تطلع إلى الاستيلاء على مدن الأندلس الإسلامية مدينة مدينة من أيدى المسلمين. وكان المعتمد بن عباد أمير أشبيلية وقرطبة يؤدى الجزية للفونسو السادس إلى أن استولى الأخير على طليطلة توطئة لأن يسيطر على بلاد ابن عباد وأخذ يتحين الفرص لتحقيق حلمه هذا. ثم ساءت العلاقات بين ابن عباد والفونسو وقد اختلفت الروايات حول السبب المباشر للعداء بين الفونسو والمعتمد بن عباد.[1] بعد ذلك أقسم الفونسو بآلهته ليغزونه بأشبيلية وليحاصرنه بقصره، وكان ابن عباد في هذه الأثناء قد أدرك أن العلاقات بينه وبين الفونسو السادس قد وصلت إلى طريق مسدود وأن النوايا التوسعية للفونسو قد وضحت تماماً بل ستشمل كل أرجاء الأندلس تحقيقاً لحلم النصارى في طرد العرب نهائياً من الأندلس ولذا فقد رأى المعتمد ضرورة الاستعانة بأقرب وأكبر قوة إسلامية مجاهدة وهي القوة المرابطية الفتية التي تمكنت من الظهور حديثاً في المغرب الأقصى.[2]

تقدمت جيوش النصرانية حتى أصبحت على بعد ثلاثة أميال من معسكرات المسلمين وكان يفصل بينهم نهر بطليوس ولبث الجيشان الخصمان كل منهما تجاه الآخر مدة ثلاثة أيام ثم نشب القتال العنيف بينهما انتهى بنصر مؤزر أحرزه المرابطون على القوى النصرانية في معركة الزلاقة الشهيرة 479هـ وكان من نتائج هذه المعركة إنها قللت من قدر ملوك الطوائف في نظر رعيتهم ومهدت السبيل إلى إسقاط دويلات الطوائف في سيطرة المرابطين على الأندلس[3] وهكذا كان حال الأندلس قبل ابن عطية كانت في حالة صراع انتهي بسيطرة المرابطين عليها.

وقد كانت رسالة المرابطين منذ بداية تدخلهم في شؤون الأندلس تهدف إلى إنقاذ الإسلام في الأندلس وقد بذلوا حقاً في هذا السبيل جهوداً جبارة وقضوا الستين عاماً التي دامت فيها دولتهم بالأندلس في جهاد ومثابرة ضد القشتاليين والارجوانيين.[4]

---

(1) حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1997م، ص 51 – 52.

(2) المرجع نفسه، ص 54.

(3) المرجع نفسه، ص 60.

(4) السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، يونيو 1982م، ص 656.

استرد المسلمون بموقعة الزلاقة بلنسية وفكوا حصار سرقسطة، وعـادت لهـم السيادة بالجزيرة الخضراء. وبعد هذا النصر عاد يوسف إلى شمالي أفريقيا ولم يتـرك بالأندلس إلا حامية صغيرة فتجدد هجوم النصارى وعاد ملك أشبيلية يطلب النجدة فقـاد جيشه هذه المرة وهو ينوى الاستقرار بأسبانيا والقضاء على النفوذ المـسيحي ونفـوذ ملوك الطوائف جميعاً وتم له ما أراد وأصبحت الأندلس تابعة للمرابطين.[1]

قام بالأمر بالأندلس بعد يوسف ابنه علي بن يوسف وتلقب بلقـب أبيـه أميـر المسلمين، وسمي أصحابه بالمرابطين، وجرى على سنن أبيه في إيثار الجهاد وإخافـة العدو وحماية البلاد وكان حسن السيرة، جيد الطوية، نزيه النفس، بعيداً عن الظلم، كان إلى أن يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب من أن يعد في الملوك والمتغلبين. واشتد إيثـاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيماً لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس.[2]

ولما توفي علي بن يوسف سنة 533هـ وخلفه ابنه تاشفين توالت عليه الهـزائم في المغرب على أيدي عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين واستغل أهل الأندلس هـذه الفرصة وأعلنوا ثوراتهم في الأندلس فتمزقت البلاد من جديد بعد وفاته سنة 539هـ ـ إلى دويلات الطوائف واستغاث هؤلاء الثوار بجيوش قشتالية وبرتغالية.[3]

كان سبب ذلك أن صفات البطولة والحماسة التي امتاز بها المرابطـون الـذين زحفوا إلى الأندلس في المرة الأولى لم تتوافر في الطبقة التالية لهم فقـد مـال الجيـل الجديد إلى لين العيش ولذائذ الحياة فضعف أمرهم وبدأ الانحلال في دولـتهم ومـا إن وافت سنة 540هـ حتى انتهى ملك المرابطين في شمال أفريقيـا والأنـدلس وعـادت الأندلس إلى الامارات والطوائف. ولكن هذا العصر كان قصيراً هذه المرة أي في المدة من 538 – 543هـ ثم تم خضوع الأندلس للقوة الجديدة التي ورثت ملك المرابطين في أفريقيا وهي قوة الموحدين.[4]

من هنا يظهر أن الحياة السياسية في عصر المرابطين كانت معارك وحـروب دامية وكان ابن عطية ممن حملوا السيف واشتركوا في كثير من الغزوات، وكان يكثر

---

(1) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1984م، ج4، ص 72.

(2) الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة، 1383هـ - 1963م، ص 235.

(3) السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص 657.

(4) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص 73.

من التغيب عن أهله وبلده، وكان والده قد كبر في السن وكف بصره وقد طال غيـاب عبد الحق*، عنه في إحدى الغزوات مما أثار في نفس الشيخ الضرير نـوازع الحنـين والشوق وحرك فيه عواطف الأبوة فكتب إليه أبياتاً كلها رقة وشوق وحنان ولمح له فيها إلى حاجته إلى رعايته قال:

يا نازح الدار لم تحفل بما نزحت ** دموعه طارقات الهم والفكر
غيبت شخصك عن عيني فما ألفت ** من بعد مراك غير الدمع والسهر
وقد كان أولى جهاد في مواصلتي ** لا سيما عند ضعف الجسم والكبر
إعتل سمعي وجال الضر في بصري ** بالله كن أنت لي سمعي وكن بصري

ومع هذه العواطف الجياشة وأمام هذا النداء الأبوي كان ابن عطية يتحمل كـل شيء في سبيل واجبه الديني، وكان يتحمل في سبيل عقيدته، لأن الحروب كانت ضـد أعداء الإسلام والمسلمين الذين تكالبوا على الأندلس في فترة خطيرة من فترات العدوان على الإسلام. وإلى جانب ذلك جاهد بقلمه وكتب رسائل إلى بعض الأمراء يحثهم فيهـا على نجدة البلاد التي احتلها العدو ويهيب بهم أن ينقذوا الأبرياء من الناس مـن ظلـم الغزاة وقسوة المعتدين، وكان دائماً يحث على الجهاد المقدس ويلهـب الحمـاس فـي النفوس بما يضمنه رسائله من أشعار حماسة يترنم فيها بالبطولات.[1]

من هنا ندرك أن ابن عطية لم يقف من هذه الأحداث موقف المتفرج بـل نجـد دوره الواضح فيما كشفت عنه صفحات الماضي، فأبن عطية كان عالماً والعلم نور يأبى معه الإنسان أن يعيش في دياجر الظلم والطغيان فهب يدافع عن أرضه وعقيدته.

* عبد الحق هو ابن عطية (صاحبنا في هذه الدراسة).

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج1، ص

المطلب الثاني
الحياة الاجتماعية:

كانت العناصر التي سادت الأندلس أربعة: العرب وكانوا يحسون إحساساً قوياً بأرستقراطيتهم لغلبتهم على الأسبانيين والبربر وإدخالهم في الإسلام، وبلغتهم التي تفوق غيرها. والبربر: وهم يشاركون العرب في البداوة والإسلام والعصبية القبلية والشجاعة. والاسبان: وهم مسيحيون كاثوليك يرون أن العرب والبربر دخلوا عليهم، وأنهم أحق بملك بلادهم. والمسلمون المولدون من تزاوج العرب والبربر أو العرب بالأسبانيات والصقالبة وكان لذلك سبب كبير وهو أن الجيش الفاتح كان من الرجال النازحين من الشرق الذين قطعوا مسافات بعيدة حتى وصلوا إلى الأندلس فكان طبيعياً ألا يرحل معهم عدد كبير من النساء فاضطرتهم الحاجة إلى أن يتزوجوا من الأسبانيات أو من البربر ويستولدوهن وقد خرج من هذا الازدواج بين عربي وبربرية أو عربي وأسبانية جيل جديد مولد يشبه ما كان في الشرق من تزاوج عربي بفارسية، وقد عرف المولدون من النساء الأسبانيات بالذكاء والشجاعة والجمال وكان لهم في الأندلس تاريخ طويل.[1]

أما المجتمع الأندلسي فينقسم إلى مجتمع الخاصة والعامة. مجتمع الخاصة يتكون من الأمراء والقواد والفقهاء والقضاة ورجال الدين.

أ. الأمراء والقواد: كان المرابطون يمثلون الطبقة الحاكمة صاحبة السيادة على المغرب والأندلس ولذا فقد اتخذوا من اللثام شعاراً يميزهم من غيرهم من قبائل المغرب مما جعل بعض العناصر الأخرى كالحشم والعبيد يتشبهون بالمرابطين فيلبسون زيهم المميز وهو اللثام ويأتون الكثير من ألوان الفجور والتعدي والعبث بالأمن بارتكاب المعاصي تحت ستار هذا اللثام.[2]

ب. الفقهاء والقضاة وعلماء الدين: تمتع الفقهاء والقضاة ورجال الدين بمكانة سامية في المجتمع الأندلسي المغربي في زمن المرابطين ولعل ذلك يرجع إلى دورهم الكبير في قيام الدولة المرابطية أو إلى التعاليم الراسخة التي وضعها الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين[3] منشىء الدولة الروحي ومؤسسها وهكذا كان من

---

(1) أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1388هـ 1969م، ج3، ص 1، 2.

(2) حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، في عصر المرابطين، مرجع سابق، ص 325.

(3) هو عبد الله بن يس، بن مكو الجزولي الزعيم الأول للمرابطين وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم كان من طلبة العلم في دار أنشئت في السوس وسميت دار المرابطين، قتل في سنة 451 قتله مجوس برغاوطة فمات شهيداً. أنظر الأعلام للزركلي، ج4، ص 144.

الطبيعي أن يتمتع فقهاء المالكية بمنزلة كبيرة في عصر يوسف بن تاشفين ثم في بلاط ولده على بن يوسف.[1]

أما مجتمع العامة فيتكون من التجار والصناع والحرفيين والمزارعين فقد كـان لحالة الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي شهدته الدولة المرابطية في عصر يوسـف بن تاشفين والنصف الأول من عصر ولده علي بن يوسف أكبر الأثر في ظهور أهمية التجار وكذلك الحال بالنسبة للصناع والحرفيين فقد فتحت الدولة أبواب المغـرب أمـام صناع الأندلس فأصبحوا يشكلون جانباً كبيراً في الدولة حيث كان الصناع والمهندسون والحرفيون يأتون إلى المغرب يعرضون على أمير المسلمين وأمراء الدولـة وعمالهـا خبراتهم ومهاراتهم. وهكذا نرى أن الصناع والحرفيين أصبحوا يشكلون جانباً كبيراً في المجتمع المغربي الأندلسي وأصبحوا موضع احترام وتقدير أميـر المـسلمين وأمـراء الدولة فكانوا من الطبيعي أن يشاركوا في الحياة الاجتماعية سـواء فـي المغـرب أو الأندلس. وكما ازدهرت مكانة التجار والصناع والحرفيين فقد ازدهرت أيـضاً مكانـة المزارعين وازداد إقبالهم على زراعة أراضيهم بسبب تلك السياسة الضريبية الحكيمـة التي سارت عليها الدولة.[2]

حياة اللهو والطرب في المجتمع الأندلسي:

لم يستطع المرابطون على الرغم من نشأتهم في الصحراء وتأثرهم بتعاليم الإمام الفقيه عبد الله بن يس مقاومة مباهج الحضارة الأندلسية بكل مظاهرها ومفاتنها ولا سيما فن الغناء والموسيقي والطرب، وإذا كان ذلك قد ظهر جلياً واضحاً في عصر علي بـن يوسف إلا أن البوادر الأولى قد ظهرت في عصر يوسف بن تاشفين نفسه إذ أهدى لـه المعتمد بن عباد جارية حسنة الصوت جيدة الغناء فسمع منها وطرب لغنائها وقد كانت مجالس الأنس والطرب والموسيقي من الأمور المألوفة في حياة أمراء الأندلس فقد كان هؤلاء الأمراء يعقدون مجالس الطرب في قصورهم ومنتدياتهم ويصف ابـن خفاجـة البلنسي مجلساً من تلك المجالس في بلنسية فيقول:

فكم يوم لهو قد أردنا بأفقه ** نجوم كؤس بين أقمار ندمان
وللقضيب والأطيار ملهى بجزعة ** فما شئت من رقص على رجع ألحان

(1) حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 328.

(2) المرجع نفسه، ص 338، 339.

وقد سار أمراء المرابطين على درب أمراء الأندلس في شغفهم بمجالس الطرب والموسيقي، ومثالنا على ذلك الأمير أبو بكر إبراهيم بن يوسف بن تاشفين المعـروف بابن تفلويت قد اتخذ من الفيلسوف ابن باجة[1] كاتباً له فيروى أن ابـن باجـة حـضر مجلساً من مجالس الطرب وألقى موشحته التي أولها:

جرر الزيل أينما جر ** وصل الشكر منك بالشكر

فطرب بن تفلويت لذلك فلما ختمها بقوله:

عقد الله راية النصر ** لأمير العلاء أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تفلويت صاح واطرباه وشـق ثيابـه وحلـف بالأيمان المغلظة لا يمشى ابن باجة إلى داره إلا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه.[2]

هكذا كانت الحياة الاجتماعية في ذلك العـصر، وبـالرغم مـن أن العناصـر الأندلسية التي كونت المجتمع كانت مختلفة إلا أنها كانت متجانسة، وأن البيئة الأندلسية كان لها أثر واضح على المرابطين بالرغم من نشأتهم الصحراوية وتأثرهم بتعاليم عبد الله بن يس.

(1) هو محمد بن يحي بن باجة، ت 533 يعرف بابن الصائغ من فلاسفة الإسلام ولد في سرقسطة وأستوذره أبو بكـر بن إبراهيم والي غرناطة، ثم سرقسطة، وذهب إلى فاس فاتهم بالإلحاد ومات فيها قيل مسموماً قبل سن الكهولة من مؤلفاته مجموعة في الفلسفة والطب والطبقات ورسالة الوداع، أنظر الأعلام للزركي، ج7، ص 137.

(2) حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، مرجع سابق، ص 340، 341.

المطلب الثالث
الحياة العلمية

أولاً العلوم النقلية: تعنى بالعلوم النقلية العلوم الشرعية التي تعتمد على الـرواة والنقل والسماع والتي تعتمد في المقام الأول على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار الواردة عن الصحابة الكرام والتابعين الثقات ومن أهم هـذه العلـوم التفـسير والحديث والفقه.

التفسير:

زاد الاهتمام في هذه الفترة بتفسير القرآن الكريم وفهم معانيه وشرح كلماته من الناحية اللفظية واللغوية ومن ناحية المعاني والأفكار وكان معظم اعتمادهم في التفـسير على الحديث النبوي قولاً وعملاً وهدفهم التوفيق بينه وبين آيات الذكر الحكيم وتجنبـوا طريق العقل والتأويل الذي التزمه المعتزلة.[1] والشيعة.[2] واتخذوه وسيلة لنشر مبادئهم فاشتهر أبو القاسم أحمد بن عمر بن يوسف المعروف بابن ورد ت 540هـ ـ، 1146م والذي انتهت إليه الرئاسة في مذهب مالك وإلى القاضي أبي بكر العربي[3] في وقتهـا ولم يتقدمهما بالأندلس أحد بعد وفاة القاضي الوليد بن رشد فكان مـن أجلـة الفقهـاء المفسرين المحدثين في علم الأصول والتفسير وبجانب ذلك بـرز فـي الأدب والنحـو والتاريخ وبجانب هؤلاء العلماء المفسرين وكتبهم كان اهل الأندلس يعتمدون على كتب التفسير التي ألفت سواء في المغرب أو الأندلس من قبل خصوصاً كتاب تفسير إعراب القرآن للإمام العالم أبي محمد مكي بن أبي طالب القرطبي ت 537هـ 1143م وكـان يشيد به ابن غالب المحاربي ويشجع طلبته على قراءته بجانب تأليفه.[4]

---

(1) نشأة هذه الفرقة في العصر الأموي وأصل هذه الفرقة واصل بن عطاء (80 – 131هـ) ويعتمـد مـذهبهم عـن أصول خمسة التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنظـر التفسير والمفسرون، للذهبي، ج1، ص 376.

(2) الشيعة في الأصل هم الذين بايعوا علياً وأهل بيته ووالوهم وقالوا إن علياً هو الإمام بعد رسول الله β وأن الخلافة حق استحقها بوصية من رسول الله β وهي لا تخرج عنه في حياته ولا عن أبنائه بعد وفاتـه وهـو مـن أقـدم المذاهب الإسلامية وكان مبدأ ظهورهم في آخر عهد عثمان، الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص 4.

(3) هو محمد بن عبد الله الأشبيلي المالكي من حفاظ الحديث ولد في أشبيلية سنة468هـ، رحل إلي المشرق بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين ألف في الحديث والفقه والأصول والتفسير ولي قضاء أشبيلية مات بفاس سنة 543، أنظر الزركلي الأعلام، ج1 ص، 4.

(4) عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، (510 – 65هـ)، تـاريخ سياسـة وحضارة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ، 1988م، ص 396، 397.

علوم الحديث:

أما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنـسوخة وذلك بما يثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفاً وتخفيفاً عن العبـاد باعتبـار مصالحهم التي تكفل لهم بها.[1]

أما الحديث الشريف فنال درجة كبيرة من الاهتمام في ذلك العصر بعد القـرآن الكريم وإن كان الأندلسيون قد اهتموا منذ زمن مبكر بتعلم الحديث ودراسـته، وتحفـل كتب التراجم والطبقات بعدد لا يحصى من الأسماء لعلماء الحديث. وكان علـى رأس هؤلاء القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي.[2] ومع أنه تكثر نسبته إلى المغرب إلا أنه يعد من أعمدة الحياة الفكرية الأندلسية لكثرة مشاركته فيها ودراسته على شيوخها ويعد من أكبر الحفاظ ومن أعظم أئمة عصره في الحديث.[3]

الفقه:

الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بـالوجوب والحظـر والنـدب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل فقه.[4]

اتجه الإسلام أول أمره إلى إصلاح العقيدة فإنها الأساس التي يبنى عليه ومـن أجل ذلك ترى القرآن كان ينزل بمكة قبل الهجرة معنياً برد العرب عن الشرك ودعوتهم إلى التوحيد وإقناعهم بصدق الأنبياء فيما يلقونه ويسوق لهم العبرة بالقصص عن الأمم السابقة وفي المدينة اتجه التشريع الإسلامي نحو الغرض الثاني فشرع للمسلمين الأحكام التي تتناول كل شأن من شئونهم وتتصل بحياة الفرد والجماعة في كل ناحية.[5]

يذهب بعض الباحثين في تقسيم أدوار التشريع والفقه الإسـلامي إلـى مراعـاة النشأة والتطور والقوة والضعف في تاريخ الفكر الإسلامي فيقسمون الأدوار التي مر بها التشريع والفقه إلى الأدوار الآتية: الدور الأول وهو عصر التشريع في عهـد رسـول اللهβ وفي عهد الخلفاء الراشدين. الدور الثاني هو الدور التأسيسي للفقه ويشمل العمل

---

(1) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل بيروت، بدون ط،ت، ص 488.

(2) عياض بن موسي اليحصبي السبتي، عالم المغرب وإمام أهـل الحـديث والفقـه، 476 – 544هـ، (1116 – 1151م)، ولي قضاء سبتة ثم قضاء غرناطة توفي بمراكش مسموماً، أنظر الأعلام للزركلي، ج5، ص 99.

(3) عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 398.

(4) ابن خلدون، المقدمة، ص 493.

(5) محمد علي السايس، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1419هـ، 1999م، ص 28.

الفقهي في العصر الأموي والكلام على مدرسة الحجاز ومدرسة العراق. الدور الثالـث دور النهضة الفقهية وتأسيس المذاهب وتدوين الحديث، الدور الرابع دور التقليد وسـد باب الاجتهاد بعد أن استقرت المذاهب، الدور الخامس دور اليقظـة الفقهيـة وحركـة الإصلاح الديني في الوقت الحاضر لفتح باب الاجتهاد.[1]

كان المرابطون على المذهب المالكي فانتصروا لفقهاء المذهب الذين اسـتعادوا نفوذهم في عهدهم فنشط التأليف في الفقه والرواية والحديث.

وظهر عدد من أئمة هذا الفقه لم يتكرر أمثالهم فعلى قمة فقهاء المالكية أبو الوليد أحمد بن رشد.[2] الجد فقيه الأندلس وعالم العدوتين الذي تقدم على جميع أهل عـصره وترك خلفه مدرسة لها أهميتها وثقلها في حركة التأليف في الفقه المالكي أخذ عنه عدد لا يحصى من طلبة الأندلس والمغرب من أشهرهم قاضي الجماعة بقرطبة محمد بـن أصبغ الازدي* 1141م.[3]

كذلك برز في ميدان الفقه والحديث في ذلك العصر القاضي الفقيه أبو بكر بـن العربي أعظم فقهاء الأندلس في عصر المرابطين وكان عالماً حافظاً تولى قضاء أشبيلية زمناً ثم انقطع للتدريس والبحث والتصنيف، ومن أشهر كتبه (العواصم من القواصـم) و(أنوار الفجر) في مدح الرسول β.[4]

العلوم العقلية:

حظيت العلوم العقلية بالتشجيع ووصلت درجة كبيرة من التخصص والتجويـد فنجد أنفسنا أمام عدد كبير من العلماء انقطعوا انقطاعاً تاماً إلى الفلسفة والطب وغيرها من العلوم، ووصلوا بها نتيجة هذا الانقطاع ذروتها العليا فألفت المصنفات في الفلـسفة وكانت هذه الكتب معروفة ومتداولة فقط عند طبقة الخاصة من المثقفين لأن العامة لهم موقفهم من أهل هذا العلم وكانت الدراسات الفلسفية قد أصيبت بنكسة كبيرة بعد إحراق

---

(1) مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي التشريع والفقه، مكتبة المعارف، الرياض، ط3، 1422م، 2002هـ.

(2) أبو الوليد أحمد بن رشد صاحب كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وهو كتاب في الفقه المقارن ولد ابـن رشـد سنة 250هـ وهو قرطبي أندلسي مالكي مشهور بابن رشد الحفيد أنظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشـد دار الجيل، بيروت ط1، 1409هـ، ج1، ص 12.

* محمد بن عيسى بن محمد بن أسبغ الأزدي المتوفي ت620هـ، نزيل افريقيا قاضي متفنن في العلوم، ولي قضاء بلنسية ثم قضاء مرسية وصرف فسكن قرطبة وحج وأقام بمصر قليلاً وعاد ومات بمراكش له مؤلفات منها: كتاب في أصول الدين وآخر في السيرة النبوية. الأعلام، الزركلي ج6 ص322.

(3) عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 389.

(4) حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 397.

الكتب الفلسفية وعلوم اليونان في مكتبة المستنصر الأموي والتي أمر بها المنصور بن عامر.[1]

والعلوم العقلية التي هي طبيعة الإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها. وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة. وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم، الأول: علم المنطق، وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وفائدته تمييز الخطأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضه ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهي فكره.[2] ومن العلوم العقلية:

علم الكلام:

وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة الشرعية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة. سر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد، فلنقدم هنا الطبقة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق والمآخذ ثم نرجع إلى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشير إلى حدوثه في الملة وما دعا إلى وصفه.[3]

اتهم المرابطون بأنهم حاربوا علم الكلام وطاردوا المشتغلين به ولم يسمحوا بدراسته أو تدريسه ولكن من خلال التراجم المعتبرة في كتب الطبقات نجد عدداً وافراً من الذين اهتموا بهذا العلم وبرعوا فيه بل يبدوا أن هذا العلم شغل الكثيرين في عهد الأمير علي بن يوسف مما دعاه لسؤال القاضي أبي الوليد ابن رشد بشأن علم الكلام والمشتغلين به فأجابه بأن هذا لا يتعارض مع المذهب ويترك لمن أراد التفقه فيه والاشتغال به الحرية في تدريسه وتعليمه وأهم الأعلام في علم الكلام في هذه الفترة القاضي أبو بكر بن العربي.[4]

---

(1) عصمت دندش، الأندلس، في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 407.

(2) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 529.

(3) المصدر نفسه، ص 507.

(4) عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 400، 401.

الفلسفة والمنطق:

وعلم المنطق هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحـدود والمعرفـة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات، وذلك أن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره، وإنمـا يتميز الإنسان عنها بإدراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات.[1] ويظهر أن منـشأ الفلسفة في الأندلس كمنشئتها في المشرق فقد نشأت الفلسفة في المـشرق مـن الطـب والتنجيم لعناية الخلفاء بها إذا كانوا يحتاجون إليها كثيراً وكان الطـب والتنجـيم عنـد اليونان فرعين من فروع الفلسفة كالطبيعيات والإلهيات، ولذلك نرى الفلاسفة الأندلسيين الأولين أطباء مثل الكرماني* وأبي جعفر أحمد بن خميس وحمد بن إبان أو منجمين مثل مسلمة بن أحمد المجريطي والزهراوي** وغيرهم وقد أعانهم على التفلـسف عوامـل مختلفة؛ الأولى: أنه رحل إلى الأندلس في أول عهدها بعض البغـداديين فعلـم أهـل الأندلس ما وصل إليه أهل بغداد في الطب والثاني نقل كثيراً من الكتب ومنها الكتـب الفلسفية التي ترجمت عن اليونانية ولم يظهر كتاب عظيم في الفلسفة إلا ونقل فوراً إلى الأندلس. ويظهر أن الاشتغال بالفلسفة كان ينقسم إلى نوعين: الأول نـوع أميـل إلـى التصوف منه إلى الفلسفة البحتة، وهؤلاء اتبعوا من الفلاسـفة أفلـوطين، ومـن هـذه المدرسة ابن سبعين وهي تعتمد على الذوق والكشف أكثر ممـا تعتمـد علـى العقـل والمنطق ومقدمات القياس ونتائجه. والنوع الثاني: من اشتغلوا بالفلسفة الصرفة علـى النحو الذي سار عليه أرسطو وقد وصف ابن طفيل الأندلسي حالة الفلسفة في بلده فقال: إن هذا العلم الفلسفة أندر من الكبريت الأحمر ولا سيما في هذا الصقع يعني الأنـدلس لأنه من الغرابة في حد لا يظفر بالسير منه إلا الفرد بعد الفرد ومن ظفر بشيء منه لم يكلم الناس إلا رمزاً.[2]

من أشهر الفلاسفة في ذلك العصر ابن باجة أبو بكر محمد بن يحـي الـصائغ 532هـ - 1138م فقد ذاع صيته في الأندلس وأوربا في العصور الوسطي حيث عرفه الناس باسم Arenpas وهو صاحب مدرسة الشك تأثر بالمدرسة اليونانية، وأشـاع هـذا

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 541.

* عمرو بن عبد الرحمن بن احمد الكرماني مولده 368هـ عالم بالطب والهندسة من أهل قرطبة رحل إلى المشرق واشتهر وعاد فسكن في سرقسطة إلى أن توفي سنة 458هـ. الاعلام الزركلي ج5 ص80.

** خلف بن عباس الزهراوي الاندلسي ابوالقاسم ت 427هـ طبيب من العلماء ولد في الزهراء قرب قرطبة إليها نسبه وهو أشهر من ألف في الجراحة عند العرب وأول من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف اشهر كتبه: التصريف لمن عجز عن التأليف وغيرها. الاعلام، الزركلي، ج3 ص260.

(2) أحمد أمين، ظهر الإسلام، مرجع سابق، ج3، ص 234، 235.

المذهب بين شعراء ذلك العصر الذي فشا في شعر بعضهم لون من ألوان التحرر من قيود الدين، والرياضة والفلك والطبيعة، وتتلمذ على يديه عدد من الفلاسفة والأطباء والمهندسين الذين ظهروا في آخر عهد المرابطين وبداية عهد الموحدين منهم أبو الحسن على بن الإمام الغرناطي، وابن طفيل الطبيب الفيلسوف صاحب رسالة حي بن يقظان الذي يبدو فيها تأثير ابن باجة[1] وبهذا ترى أن الفلسفة قد تألق نجمها في سماء دولة المرابطين ويكفي هذا العصر فخراً ظهور الفلاسفة العظماء أمثال ابن باجة.[2]

علم الطب:

من فروع الطبيعيات صناعة الطب ((وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدِلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنصحه وقبوله الدواء أولاً في السجية والفضلات والنبض محازين لذلك قوة الطبيعة فإنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض)).[3]

وفي الأندلس في ذلك العصر برز عدد كبير من الأطباء كان على رأسهم أبو مروان ابن زهر وعبد الملك بن أبي العلاء بن زهر ت 557هـ - 1161م وقد اشتهرت أسرة بني زهر بنبوغ أفرادها في الفقه والعلم والأدب والسياسة فكان منهم الفقهاء والأطباء والشعراء والوزراء وتميز من هذه الأسرة ستة أطباء وطبيبة تعاقبوا على التربع على عرش الطب العربي في المغرب الإسلامي من أوائل القرن الحادي عشر الميلادي حتى أواخر القرن الثالث عشر (الخامس إلى السادس الهجري).[4]

وكان أبو القاسم الزهراوي المتوفي بقرطبة سنة 500هـ/1106م أشهر جراحي عصره، وقد ترك كتباً كثيرة في الطب نذكر منها بحثه في الجراحة وشرح فيه العمليات الجراحية والآلات التي تستعمل في هذه العمليات وقد وصف عملية شق المثانة وتفتيت الحصاة، وذكر أنواع الحصى وإخراجها والآلات التي تستعمل في هذه العملية كما وصف الأربطة وغيرها من الأشياء التي يستعملها الجراح لتضميد جراح المريض وإلى

---

(1) عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، مرجع سابق، ص 410، 411.

(2) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1973م، ص 217.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص 545.

(4) عصمت دندش، مصدر سابق، ص411.

ابن زهر يرجع الفضل في اكتشاف علاج الأمراض الجلدية قدمه إلى الخليفة يعقـوب المنصور الموحدي.[1]

من أشهر المؤلفات في ذلك الوقت كتاب الكليات في الطب وهو الكتاب الذي ألفه ابن رشد، ووصف فيه بصور عامة ما كان معروفاً عن الأمراض في زمانه. وربما أنه لم يتطرق إلى التفاصيل في المعالجة كطبيب سريري ممتهن. فإنه طلب إلى صديقه ابن زهر أن يجعل كتابه مشتملاً على اختباراته ومشاهداته في علمي الأمراض والمـداواة ولم يكد ينتهي من تأليفه حتى تناولته أيدى النساخ والمترجمين فوضعت علـى الفـور ترجمتان عبريتان وانتقلت هاتان الترجمتان إلى إيطاليا فترجمت احداهما إلى اللاتينية. ولا شك أن كتاب التيسير بترجماته العبرية واللاتينية قد أحدث أعمق الأثر في تطـور الطب خلال القرون الوسطى التي كان فيها الطب الأوربـي عـاجزاً عـن التحليـق بجناحيه.[2]

وهذا دليل على أن منبع العلم والمعرفة أصله العرب والمسلمون، وأن الأنـدلس كانت بمثابة الطريق الموصل لهذا العلم قال الشاعر: باكياً على تراثنا:-

كانت أوربا ظلاماً ضل سالكه ** وشمس أندلس بالعلم تهديه[3]

علم الفلك والتنجيم:

يعتبر علم الفلك والتنجيم من جملة العلوم التي تستهوي النفس البشرية، وتثيـر فيها غريزة حب الاستطلاع للغموض الذي يحيط به وما يرتبط بذلك مـن محـاولات استكشاف غوامض الكون الطبيعية.

نبغ في عصر علي بن يوسف عدد من علماء الفلك المتخصصين فـي التنجـيم أمثال أبي العباس أحمد بن يوسف التنوخي الذي يعرف بابن الكمـاد، ومـن تـصانيفه القبس والمستنبط على إرصاد أبي اسحق التطيلي المعروف بالزرقالة وأبي الحسن علي بن خلف الأموي ومن مؤلفاته كتاب اللؤلؤ المنظوم في معرفة الأوقات بالنجوم وغيرهم من الفلكيين والمنجمين.[4]

---

(1) عصمت دندش، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، مصدر سابق ص412

(2) المصدر نفسه ص411-415.

(3) للشاعر الفلسطيني احمد هاشم عبد الدائم

(4) حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين، ص399.

الأدب والشعر في الأندلس:

نلاحظ في الحركة الأدبية الآتي:

1. إن الثقافة الأدبية في الأندلس تكاد تكون عامة بين المثقفين فلا تكاد تقرأ ترجمة لفقيه أو أمير أو متصوف إلا نجد له شعراً من بيتين أو مقطوعتين أو أكثر.
2. ما إن وضع العرب أرجلهم في الأندلس حتى صبغوها بالصبغة العربيـة فـي عاداتها وتقاليدها، ومن ذلك أدبها، فالعربي حيثما حل ذكر أوطانه وحن إليهـا. وعلى كل حال نجد في العصور الأولى في الأندلس قبل عبد الـرحمن الـداخل شعراً قليلاً وأدباً شحيحاً تقتضيه المناسبات والمسامرات.[1]

نلاحظ أن امتزاج العرب بالأسبان كان له أثر واضح في الشعر في الأنـدلس، فكنت ترى شعراً أندلسياً شرقي النسيج ولكن فيه خيوط دقيقة أسبانية ويحتاج تحليل هذا وذاك إلى حس مرهف، ونظر دقيق، ومعلومات واسعة، وأياً ما كان فشعراء الأنـدلس في نظرنا لم يفلحوا كثيراً في استقلالهم عن الشرق وابتكارهم وتجديدهم كما لم يفلح في ذلك اللغويون والنحويون والصرفيون ولذلك لو أغمضنا أعيننا وجهلنا قائل قصيدة أهو شرقي أم أندلسي لم نكن نحكم حكماً صحيحاً حازماً على الشاعر أغربي هو أم شرقي؟ ولذلك كثيراً ما تنسب بعض الأبيات إلى أندلسي، وينسبها بعينها بعضهم إلى مـشرقي لعدم التمييز الواضح عند الخبراء. وربما كان مصداق ذلـك مـا حكـي أن الـشاعر الأندلسي الملقب بالغزال وجد في بغداد جماعة من المثقفين فأنشدهم شعراً لنفسه وادعى أنه لأبي نواس لعظم قدر أبي نواس عندهم فصدقوه ثم قال لهم: إنها لـي فلـو كانـت شخصية الأندلس واضحة في شعر أهلها لصعب نسبة أبيات أندلسية لشاعر مشرقي.

وغاية ما عندهم من فروق أن الطبيعة الأندلسية الجميلة مكنتهم من أن يقولـوا كثيراً في شعر الطبيعة، وهذا لم يكن معدوماً في المشرق، وإن لهم أخيلة ذهنية ولعبـاً بالمعاني يكاد يكون خاصاً بهم، وقد يفوقون فيه المشارقة. وهذا ما أولعوا به كل الولـع حتى أنهم لما وقفوا عند شعر المتنبي لم يقلدوه في قوة معانيـه وبـديع حكمـه وقـوة شاعريته وثورة نفسه، وإنما أخذوا منه أسلوبه وفخامة تعبيراته وعمق خيالاته كما فعل أبن هانيء الأندلسي.[2]

---

(1) أحمد أمين، ظهر الإسلام، مرجع سابق، ج3، ص 99، 100.

(2) المرجع نفسه، ص 158.

كذلك انفرد الأندلسيون في ابتكار الموشحات والأزجال خضوعاً لحكم الظروف يقول ابن خلدون: (وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطـرهم، وتهـذبت مناحيـه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح ينظمونـه أسماطاً أسماطا وأغصاناً أغصانا يكثرون من أعاريضها المختلفة، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعـد إلـى آخـر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات، وكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية).[1]

الملاحظ أن الشعر في الأندلس كـان بمثابـة تقليـد للـشعر فـي المـشرق، فالموضوعات نفسها، وكذا الأخيلة، فنجد أن الشعراء الأندلسيين اتخذوا نفس القوالب مع أنهم في وسعهم ابتكار الجديد لأن بيئتهم أغنى من البيئة في المشرق واتصالهم بأوربـا غير اتصال المشارقة.

وأخيراً لم تكن الدولة المرابطية حسبما وضح من تاريخها سوى دولـة دينيـة عسكرية استمدت حياتها ومنعتها خلال عهدها القصير من صفات البـداوة والخـشونة، وكانت روح التزمت التي تغلب عليها وتدفعها إلى تجاهل القيم الفكرية والأدبية تحـول دون تفتح الحركات العقلية وتقدمها. ولم تكن الحركة الفكرية التي ازدهرت في ظلهـا والتي استعرضنا بعض ملامحها سوى امتداد طبيعي واندفاع حتمي لتلك الحركة الفكرية العظيمة التي ازدهرت في ظل دول الطوائف والتي أسبغ عليها الملـوك كـل تـشجيع ورعاية ثم جاءت الدولة المرابطية فاحتضنت بعض جوانبها الرسمية بمن كانت تحشدهم حولها من الوزراء والعلماء والكتاب البلغاء ليكونوا لساناً لها لدى الشعوب المحكومـة سواء بالمغرب أو الأندلس لكي يستكمل البلاط المرابطي بعد أن تضخمت الدولة وتوطد سلطانها ما ينقصها من أسباب الهيبة والبهاء.[2]

هكذا كانت الأندلس في عصر ابن عطية بلداً زاخراً بالثقافات، وشـتى أنـواع العلوم والمعارف، ازدهرت فيه العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير وغيرها بصورة واضحة، فهي بلد العلم والمعرفة والحكمة الأمر الذي انعكس على ابن عطية حيث إنـه نشأ في هذه البقعة العلمية الزاخرة بمعارفها وعلومها فنهل من معينها في شتي مجالات العلوم الشرعية وجالس علماءها وأخذ منهم مما أهله إلى أن يكون من أعلامها البارزين فجاء تفسيره (المحرر الوجيز) موسوعة علمية زاخرة بشتى أنواع العلوم والمعارف.

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق ص 646.

(2) محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين في المغرب والأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنـشر، القـاهرة: بدون ت، القسم الثاني، ص 645.

المبحث الثاني
التعريف بالإمام ابن عطية

المطلب الأول: (اسمه، كنيته، نسبه):

اسمه:

عبد الحق بن غالب عبد الرحمن بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمـام ابن عطيه بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي.[1]

كنيته:

يكنى أبا محمد من ولد زيد بن محارب بن خصفة من قيس عيلان من مضر.[2]

نسبه:

اختلف المؤرخون في سلسلة نسبه، ولعل السبب في هذا هو ميل بعـضهم إلـى الاختصار وميل الآخرين إلى الأطالة والتفصيل حسب مقتضى الحـال، وأمثلـة هـذا الاختلاف كثيرة نكتفي منها بالآتي:[3] قال الداوودي: (هو عبد الحق غالب بـن عبـد الرحمن بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم من ولد زيد بن محارب بن خصفة من قيس عيلان من مضر).[4] قال المقري التلمـساني: هو عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي.[5]

قال أبو حيان في تفسيره: هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي.[6] لكنه عاد في الصفحة العاشرة وقال: أبو محمد عبد الحـق بـن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية المحاربي.[7]

---

(1) ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبـو النـور، مكتبـة دار التراث، القاهرة، بدون ط، ج2، ص 57.

(2) المرجع نفسه، ص 57.

(3) أبو محمد عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: الرحالي الفوارق عبـد الله بـن إبراهيم الانصاري وآخرون، ط1، 1398هـ - 1977م، الدوحة، ج1، ص 4.

(4) شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيـروت، ط1، 1403هـ - 1983م، ج2، ص 265، 267.

(5) أحمد بن محمد المغربي التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر بيروت، ج2، ص 527.

(6) أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص 9.

(7) المرجع نفسه، ص 10.

وفي بغية الملتمس:

عبد الحق بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبـد الله بـن تمام بن عطية بن مالك بن عطية بن خالد بن خفاف بن غالب بن عطية المحاربي أبـو محمد.[1]

ومن هنا يظهر أن الاختلاف في نسبه يدور حول بعض أجداده وبخاصـة جـد والده أهو عبد الرؤوف أم تمام بن عبد الرؤوف. ويتناول جده الداخل إلى الأندلس أهو عطية أم مالك بن عطية؟ وصاحب بغية الملتمس هو الذي ذكر من أجداده عطيـة بـن مالك ثم عطية بن خالد المحاربي. وزاد بعض المؤرخين في السلسلة أن خفافاً هو أسلم بن مكرم المحاربي، وأن عطية الداخل هو والد خالد وليس ابنه. وجاء في نسخة خطية من تفسير ابن عطية موجودة في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة وجاء في صفحتها الأولى قال الشيخ الفقيه الإمام الأجل الحافظ الأكمل القاضي الأعدل أبو محمد عبد الحق بن الفقيه الحافظ أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف ابن تمام بن خالد بن عطية وهو الداخل إلى الأندلس ابن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي من ولد زيد بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان من أهل غرناطة. ويتفق مع هذا ما جاء في الديباج المذهب والمعجم لابن الأبار ويظهر من هذه المـصادر الثلاثـة أن نسبه الحقيقي هو الإمام القاضي والفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبـد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن عبد الله ابن تمام بن عطية الداخل إلى الأنـدلس ابن خالد بن خفاف المحاربي.[2]

---

(1) أحمد بن يحي بن عميرة الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، مطبعة دوخـس، مجـريط المـسيحية، 1884م، ص 376.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 4.

المطلب الثاني
مولده ونشأته

مولده:

أجمع المؤرخون أن ميلاده كان سنة (481هـ ـ) (1088م) في غرناطة.[1] وأحوال أهل هذا القطر في الدين وإصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنحل فيهم معدومة وصورهم حسنة، معتدلة أنوفهم، بيض ألوانهم، مسودة غالباً شعورهم، متوسطة قدودهم، فصيحة ألسنتهم، عربية لغاتهم، يتخللها عرف كثير وتغلب عليها الإمالة وأخلاقهم أبية، وأنسابهم عربية، وفيهم البربر والمهاجرة كثير.[2] أما غرناطة ففيها الجبال الشاهقة والسفوح العريضة والبطون الممتدة والأغوار الخائفة مكللة بالأعناب خاصة بالأدواح متزاحمة بالبيوت والأبراج.[3]

نشأته وحياته:

كانت نشأته علمية بكل معاني هذه الكلمة، فقد ولد وتربي في بيت علم وفضل ولقد كانت أسرته عربية كريمة جمعت بين أصلين من أصول التفوق وهما عراقة الأصل وكرامة العلم.[4] قال ابن فرحون: عن جدهم الداخل إلى الأندلس: نزل جده عطية بن خفاف بقرية قنبلة من زاوية غرناطة فأنسل كثيراً لهم قدر فيهم فضل.[5] وقال عنه المقري: الشيخ المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب حسن التقيد له نظم ونثر، ولي قضاء المرية سنة تسع وعشرين وخمسمائة في المحرم، وكان غاية في الذكاء والدهاء والاهتمام بالعلم سري الهمة في اقتناء الكتب توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة.[6] وقال عنه الفتح: (نبعه دوحة العلاء، ومحرز ملابس الثناء، فذ الجلالة، وواحد العصر والأصالة وقار كمارسي الهضب، وأدب كما اطرد السلسل العذب، وشيم تتضاءل لها قطع الرياض ويبادر به الطن إلى شريف الأغراض، سائق الأبحاث فاستوى على الأمر بغلابة، ولم ينضب ثوب شبابه، أدمن التعب في السؤدد جاهداً، حتى تناول الكواكب وما اتكل على أوائله، ولا سكن إلى راحات بكره وأصائله، آثاره في كل معرفة، علم في رأسه نار وطوالعه في آفاقها صبح أو أنهار، وقد أتيت من نظمه

---

(1) ابن عطية المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 3,

(2) لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة المصري، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط3 1980م، ص38.

(3) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في تاريخ غرناطة، دار المعارف مصر، ج1 ص130.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص4

(5) ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب، مصدر سابق، ص4

(6) المقري التلمساني، مسح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مصدر سابق، ص527.

المستبدع ونثره المستبرع ما ينفح عبيراً وينضح منيراً ويسبح نميراً فمـن ذلـك مـن قصيده.

وليلة جبت فيها الجذع مرتدياً ** بالسيف أصحب أزيالاً من الظلم
والنجم حيران في بحر الدجي غرق ** والبرق فوق رداء الليل كالعلم
كأنما الليل زنجي بكامله ** جرح فيتعب أحياناً له بدم

ويتخلق بأخلاق الشيب ويندب الشباب

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح في ** ريعانه وليالي العيش أسعار
أيام روض الصبا لم تذو أغصنه ** ورونق العمر غض والهوي جار.[1]

ووالده هو الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية فقيه ومحدث أخذ عنه أعلام الأندلس كالحافظ أبي على الغساني رحل إلى المشرق سنة 469هـ وأخذ عن علمائـه.[2] قـال عنه الفتح بن خاقان: (الفقيه الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله شـيخ العلـم وحامـل لوائه، وحافظ حديث النبي β وكوب سمائه، شرح الله صدره، وأطال به من عمره مع كونه في كل علم وافر النصيب، بالمحلي والرقيب، رحل إلى المشرق لأداء الفـرض، لابس برد من العمر الغض، فروي وقبر، ولقي العلماء وأسند، وأبقي تلك المآثر وخلد، نشأ في بنية كريمة، وأورمه من الشرق غير مرومة، لم يزل فيها على وجـه الزمـان أعلام علم، وأرباب مجد ضخم، قد قيدت مآثرهم الكتب، وأطلعتم التواريخ كالشهب، وما برح الفقيه أبو بكر ليتسنم كواهل المعارف وغواربها ويقيد شوارد المعـاني وغرائبهـا لاستضلاعه بالأدب الذي أحكم أصوله وفروعه، وعمر برهة من شبيه ربوعـه، بـرز فيها تبريز الجواد المستوى على الأمر، وجلى على نفسه كما جلى الصقال عن النـصل الغرر، وشاهد ذلك ما نبته من نظمه الذي يروق حمله وتفصيلاً يقوم على قوة العارضة دليلاً.[3] وفي رعاية هذا العالم الفقيه نشأ الوليد عبد الحق ولا غرابة أن يـشبه الفـرع أصله وأن يكون الأبن مثل أبيه فضلاً وعلماً.

بأبه أقتدى عديٌ في الكرم ** ومن يشابه أبه فما ظلم

كان الناس يغدون إلى رحاب والده فيتعلمون والوليد الصغير يرى ذلـك كله فيتأثر به وينمو وجو العلم وطلابه يحيط به فيتعلق بهذه الحياة العلمية ويدفعه إليهـا طموح خطر عليه وربيعه على تحقيق رغباته رعاية واسعة من الوالد الفاضـل الـذي اختار له الأساتذة وساعده حتى على تأليف تفسيره فهو فرع من شجرة مورقة امتـدت

---

[1] الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، تحقيق: محمد صالح أكرم ومحمد الصباغ، المطبعة الخديوية، بولاق مصر ط 1283هـ ص209.
[2] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ص42
[3] الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان، مصدر سابق ص209.

غضونها وأوراقها، ونضجت ثمارها فآوي إلى ظلها كثيرون، ونعم بخيراتهـا طـلاب العلم في أماكن كثيرة. وكان رحمة الله غاية في الذكاء والدهاء شغوفاً بالتقيـد واقتنـاء الكتب مولعاً باكتساب العلوم والمعارف، ولهذا رحـل إلـى كـل عواصـم الأنـدلس وحواضرها يلتقي بالعلماء، ويأخذ عن الشيوخ، ويراسلهم في كل مكان إذا عجز عـن الالتقاء بهم، وكان يسألهم الإجازة العلمية حتى كون لنفسه أحسن تكوين.[1]

هذه النشأة الأصيلة نشأته في بيت العلم والدين خلقت فيه هذه الروح المتطلعـة إلى العلم والمعرفة، وبعثت فيه الرغبة القوية إلى التحصيل والتفوق، فكانت هذه من أهم أسباب نبوغه وتفوقه واحتلاله مكانة عالية حتى عرفه القاصي والداني وأثنى عليه كـل من عرفه أو اطلع على مؤلفاته.

[1] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق، ج1 ص5.

المطلب الثالث: شيوخه:

قال الفقيه أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي رضي الله عنه: (الحمد الله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وعلى آله أجمعين وسلم هذه تسمية من لقيته من الشيوخ حملة العلم وذكر ما رويته ومن إجازتي، منهم أبـي رضي الله عنه الفقيه أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية (441 – 518هـ)، والفقيه الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني رضي الله عنه (427 – 498م).[1] والفقيه المشاور الفاضل أبـو عبد الله محمد بن فرج القرطبي، ويعرف بابن الطلاع، ويقال الطلاعي مفتي الأنـدلس ومحدثها في عصره، من أهل قرطبة كان أبوه مولى محمد بن يحي البكـري الطـلاع فنسب له كتاب في أحكام النبي β، وكتاب في الشروط وغير ذلك، مـيلاده 404هـ ـ وفاته 497هـ.[2] وكذلك الشيخ الجليل الصالح المقري أبو الحسن علي بـن خلـف ت 449هـ عالم بالحديث من أهل قرطبة له شرح البخاري الجزء الأول والثالث والرابـع في الأزهرية والثاني لكتب سنة 776 في خزانة القيروان بفاس ومنه قطعة مخطوطـة في استنبول أولها باب زيادة الإيمان ونقصانه.[3]

ومن شيوخه أبو العباس أحمد بن عثمان بن مكحول وأبو القاسم الحسن بن عمر الهوزي وأبو بكر عبد الباقي بن محمد الحجازي وابن برال وأبو محمد عبد الواحد بـن عيسي الهمذاني وغيرهم تركتهم اختصاراً.[4] وذكر ابن عطية كذلك الفقيه الأجل قاضي الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد بن على بن عبد العزيز بن حمد ابن التغلبي. والفقيه المشاور صاحب أحكام القضاء بغرناطة أبو عبد الله محمد بن فتوح بن علي بن محمـد بن علي الأنصاري (420 – 488هـ) مؤرخ ومحدث أندلسي من أهل جزيرة ميورقة أصله من قرطبة كان ظاهري المذهب وهو صاحب ابن حزم وتلميذه، رحل إلى مصر ودمشق ومكة سنة 448هـ وأقام ببغداد وتوفي بها. من كتبه (جذوة المقتبس في ذكـر ولاه الأندلس) وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوى النباهة والشعر (الـذهب

(1) أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، فهرسة ابن عطية، تحقيق محمد أبو الحفان، محمد زاهـي، دار الغـرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1983م، ص 1.

(2) خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط14، 1999م، ج6، ص 328.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص 1.

(4) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 58.

المسبوك في وعظ الملوك).[1] والمقري الجليل أبو الحسن علي بن أحمـد بـن كـرت الأنصاري، والفقيه الشيخ الجليل أبو عبد الله محمد بن منصور بن محمد بـن الفـضل الحضرمي الفقيه بالإسكندرية، والفقيه المقري أبو القاسم خلف بن إبراهيم بن خلف بـن سعيد بن الحضر المعروف بابن النحاس.[2]

كذلك من شيوخه الحافظ أبو علي الصدفي ت 514هـ والإمام المقـري ابـن الباذي ت(444 – 1528) والفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي ت(433 – 520م).[3]

(1) خير الدين الزركلي، الأعلام، مرجع سابق ج6، ص 396.

(2) ابن عطية، فهرسة ابن عطية، ص 9.

(3) ابن عطية المحرر الوجيز، ص 2.

المطلب الرابع
تلاميذه

تتلمذ على ابن عطية الكثير من العلماء وأخذوا عنه وروا عنه الكتب والمصنفات. ومن تلاميذه ابنه حمزة وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبيد بن يوسف الأنصاري الأندلسي المعروف بابن حبيش (504 – 584) مؤرخ عالم بالعربية والقراءات من الحفاظ من أهل المرية ولى القضاء بجزيرة شقر ثم بمرسية وتوفي بها له المغازي مؤلفات.[1]

ومن تلاميذه عبد المنعم محمد بن عبد الرحيم الخرزجي المعروف بابن الفرس قاضي أندلسي من علماء غرناطة ولي القضاء بجزيرة شقر ثم في وادي آش ثم في جيان وأخيراً بغرناطة وجعل إليه النظر في الحسبة والشرطة له تآليف منها كتاب أحكام القرآن فرغ من تأليفه بمرسية سنة 553هـ.[2]

ومنهم عبد الملك بن محمد بن مسعود بن أبي الخصال الفاقعي.[3] وأبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي، وأحمد بن معد بن عيسى بن وكيل المعروف بابن الاقليسي علي بن أحمد الشقورى.[4] وهو من حدث عن ابن عطية وهو آخر من روى عنه، وذكر السيوطي كذلك آخرهم بالإجازة أبى الحسن علي بن أحمد الشقوري المتوفى سنة ست عشرة وستمائة.[5]

ومن أشهر تلاميذه أبو بكر بن طفيل صاحب رسالة حي بن يقطان المشهورة، وتلاميذه هم من صفوه العلماء والشيوخ، ولقد انتفع بعلمه خلق كثير، وكان مقصداً يفد إليه الطلاب.[6]

ومن تلاميذه الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن خير الأشبيلي (502، 1575هـ ـ) مقري من حفاظ الحديث لغوي أديب من أهل أشبيلية يقال له الأموي بفتح الهمزة والميم نسبة إلى جبل بالمغرب. بقي من تصانيفه فهرسة ما رواه عن شيوخه. قال ابن ناصر الدين: بيعت كتبه لصحتها بأغلى الأثمان ولم يكن له نظير في الإتقان.[7]

---

(1) خير الدين الزركلي، الأعلام، مرجع سابق ج3، ص 327.

(2) المرجع نفسه، ج4، ص 168.

(3) أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص 11.

(4) ابن عطية، فهرسة ابن عطية، مرجع سابق ص 51.

(5) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1396هـ - 1976م، ص 61.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص 10.

(7) الزركلي، الأعلام، مصدر سابق ج1 ص 10.

ومنهم الإمام الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة المرسي (518، 599هـ) والإمام النحوي أبو جعفر أحمد بن مضاء اللخمي القرطبي ت(593) وآخرون.[1] من هنا يتضح أنه قد تتلمذ على ابن عطية عدد كبير من التلاميـذ الـذين صاروا فيما بعد من كبار العلماء والمفسرين والحفاظ، وهذا يدل على غزارة علم ابـن عطية وسعيه إلى نشر هذا العلم.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 3.

المطلب الخامس
مذهبه الفقهي

كان ابن عطية إماماً من أئمة المالكية وفقيهاً من كبار فقهائهم وذكر في تفسيره أقوال علماء المالكية في المسائل الفقهية، وقد سلك طريق المذهب المالكي في اسـتنباط الأحكام الفقهية في تفسيره.[1]

دخلت المالكية الأندلس عن طريق تلاميذ مالك من فقهاء ومحدثين، ومن هؤلاء معاوية بن صالح.[2] والظاهر أن معاوية بن صالح كان على مذهب الإمام مالـك ابـن أنس.

صحيح أن مالكاً وضع مذهبه كاملاً وصاغه علي أسلوب يدل علي أنـه كـان واعياً علي أن ينشئ تشريعاً كاملاً بخلاف أبي حنيفة الذي لم يكتمل مذهبه إلا علي أيدي تلميذيه محمد بن عبد الرحمن الشيباني وأبي يوسف القاضي، وقد كـان مالـك أكثـر أصحاب المذاهب الفقهية الكبرى تنبهاً إلى أهمية تكوين المدرسة، فكان شـديد العنايـة بتلاميذه وأصحابه، وهذا ظاهراً جداً فيما يتصل بالمغرب والأنـدلس. وحـرص أهـل الأندلس على أن يزيدوا في عدد تلاميذ مالك المباشرين من أهل بلادهم، وكل ما نستطيع أن نقوله فيما يتصل بمعاوية بن صالح ومعاصريه إنه من الممكن أن يكونوا قد تتلمذوا على يد مالك فعلاً وأخذوا عنه لكنهم كانوا جميعاً محدثين ولم ينتبهوا إلا مـن ناحيـة الحديث عند مالك. سمعوا عنه ونقلوا عنه على أنه فقيه محدث، ودخلوا الأندلس فقهـاء محدثين. وهذه هي الصفة الحقيقية لمعاوية بن صالح ومن عاصره أو تقدم عليه أو تأخر عنه قليلاً فهؤلاء جميعاً كانوا فقهاء ومحدثين، وهم الذين وضعوا أسس الدراسات الفقهية في الأندلس لكنهم لم يكونوا من مؤسسي المالكية في الأندلس ولكن حياة معاويـة بـن صالح تضع أيدينا على نقطة البدء للمذهب المالكي في بلاد الأندلس وعلى أيديهم أصبح المذهب المالكي المذهب الغالب في الأندلس.[3] ومن ذلك يتضح أن صاحبنا ابن عطيـة كان مالكي المذهب وذلك لذيوع مذهب الإمام مالك في بلاد الأنـدلس وانتـشاره فـي أصقاعها.

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ص 5، 7.

(2) معاوية بن صالح الحضرمي قاضي من أعلام رجال الحديث (ت. 158هـ)، نشأ بحمص وخرج منها 125هـ ـ فمـر بمصر وانتهى بالأندلس ولاه عبد الرحمن الداخل قضاء الجماعة بالأندلس، لنظر الأعلام، الزركلي، ج7، ص 261.

(3) حسين مؤنس، فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1959م، ص 652.

المطلب السادس
آثاره العلمية

امتاز ابن عطية بتنوع الثقافة، ويعتبر فكره نتيجة لهذه الثقافة المتنوعة الغزيرة، وأكبر دليل على تبحره في العلم وتفننه فيه ما أنتجه وما تركه من آثار علميـة وأدبيـة تشهد له بالإمامة. وقد تجلت هذه الآثار في مجالات ثلاثة: مجال التأليف، ومجال الشعر والأدب، ومجال التلمذة عليه. ففي مجال التأليف وضع كتابه العظيم في تفسير القـرآن الكريم وهو الذي عرف بين الناس باسم المحرر الوجيز وهو الكتاب الذي نحن بـصدد دراسته إن شاء الله تعالى وينسب بعض الباحثين له مؤلفات أخرى منها كتاب الأنساب ينتقد فيه كتاباً لبعض المعاصرين وكتاباً صغيراً اسمه البرنامج أو الفهرسة وقد تـرجم فيه لشيوخه الذين أخذ عنهم وأولهم والده غالب بن عطية. وعلى كل فإن مؤلفاته قليلـة ولعلها قد ضاعت بفعل الزمن والأحداث التي توالت على بلاد الأندلس.

ومن آثاره أيضاً أشعار ورسائل لا تقل عنها جودة، وقد روى ابن خاقـان مـن شعره :

وليلة جبت فيها الجذع مرتدياً ** بالسيف أسحب أذيالاً من الصخب[1]

ومن شعره يصف الزمان وأهله:

داء الزمان وأهله ** داء يعـز لـه العـلاج
أطلعت في ظلمائه ** وداً كما سطع السراج
لصحابه أعيا تقي ** في من قناتهم اعوجاج
أخلاقهم ماء صفا ** مرآي ومطعمهم أجاج
كالدر ما لم تختبر ** فـإذا اختبـرت فهـم زجـــــــــاج

وهو شعر واضح الجودة يدل على قدرة لغوية لكنه بالقطع لا يجعله واحداً مـن الشعراء المعروفين بل هو أقرب إلى النظم ورصف الكلمات دون التعبير عن المشاعر الجياشة في عبارات عذبة رقيقة سلسة ومع هذا فحسبه أنه برز في ميادين اللغة والأدب والقراءات والفقه وأضاف إليها القضاء ومكانته.[2]

(1) الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، مرجع سابق، ص 209.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 3.

المطلب السابع
وفاته وثناء العلماء عليه

أجمع المؤرخون على تاريخ ميلاد ابن عطية لكنهم اختلفوا في تاريخ وفاته، فأبو حيان يقول: (توفي بلورقة في الخامس والعشرين لرمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة هكذا ذكره القاضي ابن أبي حمزة وفي وفاة ابن عطية).[1] وفي الأعلام وقيل في تاريخ وفاته (541، 546).[2] وفي بغية الملتمس أنه توفي سنة (542) وقيل سنة (541هـ).[3] وفي الديباج المذهب توفي رحمة الله سنة ست وأربعين وخمسمائة بمدينة لورقة.[4]

ويقول الذهبي (توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة).[5] ويقول المقري (توفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة).[6] ولكن أقرب هذه الأقوال إلى الصواب كما يبدو من اتفاق أكثر المراجع هو القول بوفاته سنة (541هـ).

وقد أثني العلماء عليه ثناءاً عطراً قال عنه الزركلي: (فقيه، مفسر، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والأحاديث له شعر ولي قضاء المرية).[7] وقال ابن خاقان: يصف علمه وفضله ويصور جانباً من هذه الشخصية الفريدة (فتي العمر، كهل العلماء، حديث السن، قديم السنا، لبس الجلالة برداً ضافياً، ورد ماء الأصالة صافياً، وأوضح للفضل رسماً عافياً، سما إلى رتب الكهول صغيراً، وسن كتبه ذهنه على العلوم مغيراً فسباها معني وفضلاً، وحواها فرعاً وأصلاً، له أدب يسيل رضراضاً، ويستحيل ألفاظاً مبتدعة وإغراضاً.[8]

وجاء في بغية الملتمس فقيه، حافظ، محدث مشهور، أديب نحوي، شاعر بليغ كاتب، ألف في التفسير كتاباً ضخماً أربي فيه على من تقدم أخبرني به شيخي القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قرأ عليه جميعه بالمرية.[9]

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق ج1، ص 10.

(2) خير الدين الزركلي، الأعلام، مصدر سابق ج3، ص 182.

(3) أحمد بن يحي الضبي، بغية الملتمس، ص 376.

(4) ابن فرحون، الديباج المذهب، مصدر سابق ص 58.

(5) شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ، ج9، ص 587.

(6) المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص 527.

(7) الزركلي ، الأعلام، مرجع سابق، ج3، 282.

(8) الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ، مصدر سابق ، ص280.

(9) ابن عميرة الضبي، بغية الملتمس، مرجع سابق ص376.

وقال عنه الذهبي: (كان إماماً في الفقه وفي التفسير وفي العربية قوى المشاركة، زكياً فطناً، مدركاً من أوعية العلم وكان يتوقد ذكاء).[1] وقال عنه السيوطي: (وكان فقهياً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب بصيراً بلسان العرب واسع له يد في الإنشاء والنظم والنثر وكان يتوقد ذكاء).[2]

ومن أقوال العلماء وثناءهم عليه يتضح لنا إجماعهم على مكانة ابن عطية وإمامته في الفقه والتفسير والحديث وغيرها من علوم اللغة والأدب. وهذا أكبر دليل على مكانته العالية بين علماء وفقهاء عصره. ومما يدل على مكانته أيضاً كتابه في التفسير المحرر الوجيز الذي نحن بصدد دراسته، وستتضح معالم شخصيته العلمية بصورة أكبر عندما نتعرض لبعض الجوانب من تفسيره في الفصول القادمة بإذن الله.

[1] الذهبي ، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق ، ص585.
[2] جلال السيوطي ، طبقات المفسرين، مصدر سابق، ص60.

الفصل الثاني
التعريف بالمحرر الوجيز

المبحث الأول: مجال الكتاب التفسير بالمأثور:

تعريف التفسير بالمأثور:

المأثور من الأثر وهو بقية الشيء قال تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ }.[1]

ويشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول β، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم. وإنما أدرجنا في التفسير بالمأثور ما روي عن التابعين وإن كان فيه خلاف فهو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي لأننا وجدنا كتب التفسير المأثور كتفسير ابن جرير وغيره لم تقتصر على ما روى عن النبيβ وما روي عن الصحابة بل ضمّن إلى ذلك ما نقل عن التابعين.[2] أما إذا أردنا التفصيل فالسنة لأنها جاءت مبينة لكتاب الله وبما روي عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالباً من الصحابة. وهذا المسلك يتوخى الآثار الواردة في معنى الآية فيذكرها ولا يجتهد في بيان معنى من غير أصل ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة ما لم يرد فيه نقل صحيح.[3]

والتفسير بالمأثور يدور على رواية ما نقل من صدر هذه الأمة، وقد كان الاختلاف بينهم قليلاً جداً، وأكثره لا يعدو أن يكون خلافاً في التعبير مع اتحاد المعني أو يكون من تفسير العام ببعض أفراده عن طريق التمثيل، قال ابن تيمية: (والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالباً ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك نوعان: احدهما أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم الصراط المستقيم قال بعضهم: القرآن أي إتباعه وقال بعضهم: الإسلام فالقولان متفقان لأن دين الإسلام هو إتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الآخر والثاني: أن يذكر كل منهما من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل

---

(1) الزخرف: 22.

(2) الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق ج1، ص 163.

(3) القطان، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق ص 338.

وتنبيه المستمع على النوع وما نقل في قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ}.[1] قيل: السابق الذي يصلي أول الوقت والمقتصد الذي يصلي أثناءه والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار وقيل: السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدى الزكاة المفروضة فقط، والظالم لنفسه مانع الزكاة. وقد يكون الاختلاف لاحتمال اللفظ معنيين كلفظ عسعس الذي يراد به إقبال الليل وإدباره أو لأن الألفاظ التي عبر بها عن المعني متقاربة).[2]

أسباب الضعف في التفسير بالمأثور:

علمنا أن التفسير بالمأثور يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسنة، وما كان تفسيراً للقرآن بالموقوف عن الصحابة أو عن التابعين. أما تفسير القرآن بالقرآن أو ما ثبت من السنة الصحيحة فذاك مما لا خلاف في قبوله لأنه لا يتطرق إليه الضعف، ولا يجد الشك إليه سبيلاً. وأما ما أضيف إلى النبي β وهو ضعيف في سنده أو متنه فذاك مردود غير مقبول ما دام لم تصح نسبته إلى النبي β وأما تفسير القرآن بما يروى عن الصحابة والتابعين فقد تسرب إليه الخلل وتطرق إليه الضعف إلى حد كاد يفقدنا الثقة بكل ما روي من ذلك لولا أن قيض الله لهذا التراث العظيم من أزاح عنه هذه الشكوك فسلمت لنا منه كمية لا يستهان بها وإن كان صحيحها وسقيمها لا يزال خليطاً في كثير من الكتب التي عني أصحابها بجمع شتات الأقوال.[3] يقول ابن خلدون: (وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والثمين، والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون أهل الكتاب ويستفيدون منهم.[4] ومن هنا يظهر لنا أن الإسرائيليات[5] من أهم أسباب

---

(1) فاطر: (32).

(2) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 339.

(3) الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 167.

(4) ابن خلدون، المقدمة، ص 486.

(5) الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية وهي كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير منسوبة إلى أصل يهـ ودي أو نصراني واستعمال لفظ إسرائيليات من باب التغليب أي أنه قد غلب استعمال هذا اللفظ على لفظ النـ صرانيات وذلك لكثرة اليهود وانتشارهم وشدة أمرهم ومخالطتهم للمسلمين أكثر من النصارى.

الضعف في التفسير بالمأثور ونستطيع أن نرجع أسباب الضعف في رواية التفسير بالمأثور إلى أمور ثلاثة، أولها: كثرة الوضع وثانيها: دخول الإسرائيليات فيه وثالثها: حذف الأسانيد.[1] ويرجع الوضع في التفسير بالمأثور إلى أسباب متعددة منها التعصب المذهبي، وكان قصد كل فريق من نسبة هذه الموضوعات إلى النبي β أو إلى أحد أصحابه الترويج للمروي والإمعان في التدليس. كذلك نجد اللون السياسي في هذا العصر يترك أثراً كبيراً في الوضع في التفسير ومن أسباب الوضع ما قصده أعداء الإسلام الذين اندسوا بين أبنائه متظاهرين بالإسلام من الكيد له ولأهله فعمدوا إلى الدس والوضع في التفسير بعد أن عجزوا أن ينالوا من هذا الدين عن طريق الحرب والقوة أو عن طريق البرهان والحجة.[2]

كذلك من أسباب الضعف في التفسير الإسرائيليات التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى فكان لها أثر سيء في التفسير، وذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة بل زادوا على ذلك فرووا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً بل ودخل في هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالي المخترع مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيه لاعتقاده أن الكل من واد واحد.[3] وهذه الإسرائيليات كانت تدور حول كثير من القصص والشخصيات المذكورة في القرآن ولها ذكر في الكتب التي كانت متداولة في أيدي أهل الكتاب ولكنها لم تكن مكتوبة بالعربية فإذا سألهم المسلمون عنها للاستفادة منها في تفسير القرآن الكريم قرأها اليهود بالعبرانية وفسروها للسائلين بالعربية ولم يكن للسائلين حينذاك الوسيلة للتأكد من صدقهم في الترجمة أو تحريفهم له وهذا مما لا يمنع اليهود في الاسترسال في الشرح والإفاضة في التعليق عليها من عند أنفسهم. وكان المسلمون السائلون يستأنسون بهذه الإسرائيليات في تفسير بعض ما أجمل في القرآن الكريم، وهكذا نمت الإسرائيليات، وشغلت جزء كبيراً من تفاسيرنا، ومعظمها يدور حول أصل الخليقة وقصص القرآن كقصة أصحاب الكهف ولون كلبهم وعددهم. وهكذا كان للإسرائيليات أكبر الأثر في ضعف التفسير بالمأثور.[4]

---

(1) الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق ج1، ص 168.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 170.

(3) الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق ج1، ص 189.

[4] حامد عبد الستار ، مباحث في علم التفسير ، مرجع سابق ، ص49-50

كذلك من أسباب الضعف في التفسير بالمأثور حذف الأسانيد، وذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتحرون الصحة فيما يتحملون، وكان الواحد منهم لا يروي حديثاً إلا وهو متبين مما يقول، ولكن لم يعرف عن الصحابة أنهم كانوا يسألون عن الإسناد لما عرفوا به جميعاً من العدالة والأمانة.[1]

ثم جاء عصر التابعين، وفشا الكذب، فكانوا لا يقبلون حديثاً إلا إذا جاء بسنده وثبت لهم عدالة رواته. أما إن حذف السند أو ذكر، وكان في رواته من لا يوثق بعدالته، فإنهم كانوا لا يقبلون الحديث الذي هذا شأنه. ثم جاء بعد هؤلاء أقوام ألفوا في التفسير فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال غير منسوبة لقائليها، ولم يتحروا الصحة فيما يروون، فدخل هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورد من يخطر بباله شيء يعتمده ثم ينقل ذلك عنه من يجئ بعده ظاناً أن له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف.[2]

من هنا ندرك أن أسباب الضعف في التفسير بالمأثور هي الإسرائيليات وكثرة الوضع وحذف الأسانيد.

اللون الشخصي للتفسير بالمأثور:

من المعلوم أن لكل مفسر طابعاً خاصاً يظهر في تفسيره يختلف عن غيره، ويكون له مميزاً، ولكن هذا يتفاوت من مفسر لآخر فنجده واضحاً عند بعضهم بحيث يستطيع العامة إدراكه، وبعضهم يكون عنده هذا التميز غير واضح، ولا يعرفه إلا من له نظرة ثاقبة في علم التفسير، وهذا ما يعرف باللون الشخصي للتفسير بالمأثور.

ومن المعلوم أن الشخص الذي يفسر نصاً من النصوص يلون هذا النص بتفسيره لأن المتفهم لعبارة من العبارات هو الذي يحدد معناها ومرماها وفق مستواه الفكري وعلى سعة أفقه العقلي، وليس في استطاعته أن يفهم من النص إلا ما يرمي إليه فكره، ويمتد إليه عقله. وبمقدار هذا يتحكم في النص، ويحدد بيانه، وهذا أصل ملحوظ نجد آثاره واضحة في كتب التفسير على اختلافها، فما من كتاب منهما إلا وقد وجدنا آثار شخصية صاحبه وقد طبع به التفسير أن ظهر لنا جلياً واضحاً في كتب التفسير بالرأي فإنا لا نكاد نجده لأول وهلة على هذا النحو من الوضوح والجلاء بالنسبة لكتب التفسير بالمأثور ولكن نستطيع أن تتبينه إذا ما قدرنا أن المتصدي لهذا التفسير النقلي إنما يجمع

---

[1] الذهبي ، التفسير والمفسرون، مرجع سابق ، ج1 ص211.

[2] جلال الدين السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، دار الجيل بيروت ، ط 1419هـ 1998م، ج3 ص190.

حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة إليه متعلقة به فيقصد إلى ما يتبادر لذهنه من معناها ثم تدفعه الفكرة العامة فيها إلى أن يصل بين الآية وما يروى حولها في اطمئنان وبهذا الاطمئنان يتأثر نفسياً وعقلياً حينما يقبل مروياً أو يرفض مروياً حين لا يرتاح إليه.[1]

كذلك إننا بعد هذا نلحظ لوناً شخصياً آخر في التفسير النقلي ذلك لأن الشخص الذي يعرف قيمة الرجال، ويستطيع أن ينقد السند، ويعرف أسباب الضعف في الرواية، يطبع بهذا الطابع الشخصي الخاص تفسيره فيتحرى الصحة فيما يرويه، فلا يدخل في كتابه مروياً اعتراه الضعف، أو تطرق إليه الخلل. أما الشخص الذي لا دراية له بأسباب الضعف في الرواية، وليس عنده القدرة على نقد الرجال، ونقد المروي عنهم، فحاطب ليل يجمع كل ما ينقل له في ذلك دون أن يفرق بين الصحيح وغيره.[2]

ومن يطلع على تفسير المحرر الوجيز يلاحظ أنه قد حوى كل ما يتعلق بالتفسير بالمأثور، وكان صاحبه ابن عطية يرجع إلى القرآن في بيان بعض الآيات كما أنه قد اتخذ من السنة متكئاً يقف عليه فكان كثيراً ما يرجع إلى الأحاديث في البيان، وإذا أعياه الأمر أخذ من أقوال الصحابة، وزيل بأقوال التابعين الثقات ومروياتهم مما يجعلنا نصنف الكتاب ضمن كتب التفسير بالمأثور.

(1) الذهبي، التفسير والمفسرون، مصدر سابق، ج1، ص 165، 166.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 168.

المبحث الثاني
ترتيب الكتب وتوبيبه

المطلب الأول: طبعات تفسير ابن عطية:

بقي هذا التفسير حبيس الخزائن والمخطوطات الدفينة، ولم تتجه الهمم إلى طباعته مع النهضة العلمية التي توجهت لطباعة كتب التفسير إلى أن قامت وزارة الأوقاف المغربية بخدمة الكتاب وطباعته بتحقيق المجلس العلمي للقرويين بفاس معتمدة في نشره على عدة نسخ منها نسخة خزانة القيروان، والخزانة الناصرية، وعلى نسخ من سوس ومراكش وغيرها، وصدر سنة 1395هـ في ستة عشر مجلداً ثم طبع مرة ثانية بقطر سنة 1398هـ على نفقة أمير قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، وصدر في ثلاثة عشر مجلداً بتحقيق وتعليق الرحالي الفاروقي وعبد الله الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي صادق العناني، واعتمدوا في تحقيقه على ست نسخ مخطوطة، وعنوا بتصحيحه وإخراجه بالمستوى اللائق. كما صدر جزءان من التفسير إلى الآية (93) من سورة آل عمران من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر بتحقيق الأستاذ أحمد صادق الملاح. وعن طبعة قطر المحققة تقوم دار ابن حزم ببيروت بتقديم الكتاب للقراء في مجلد واحد.[1]

والطبعة التي بين أيدينا طبعة دار ابن حزم بدولة لبنان وهي الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م، وتقع في مجلد واحد.

مما سبق يتضح لنا أن هذا التفسير ظل مخطوطاً ما يقارب الثمانية قرون ثم طبع، وبعد ذلك توالت طبعاته. أما الطبعة الأخيرة (طبعة دار ابن حزم) فلها أهميتها. فنحن الآن في عصر السرعة وتيسير المعلومات لذلك قد قدمت كتب التراث الضخمة في حجم صغير أشبه ما يكون بالمعجم الذي يسهل مراجعته وحمله من مكان إلى آخر وكذلك يحقق للقارئ طلبه في وقت قصير، وفيها إضافة إلى ذلك توفير للوقت والمكان والمال وقد استفدت من هذه الطبعة خاصة في التنقل بها من مكان لآخر وهي بتحقيق مجد مكي وجزى الله القائمين بأمرها خير الجزاء.

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م، ص 10.

المطلب الثاني
مقدمات المؤلف

نجد أن ابن عطية قد وضع مقدمة لتفسيره في وقد مضى في تفسيره بنفس طويل بعد أن قدم تفسيره بمقدمات تعطي القارئ بيانات مهمة وتمده بأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم وتشمل هذه المقدمات ما يلي:

- ما ورد عن النبي β، وعن الصحابة، وعن نبهاء العلماء في فضل القرآن المجيد وصوره الاعتصام به.[1]
- فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه، ودقائق معانيه.[2]
- ما قيل في الكلام في تفسير القرآن، والجراءة عليه، ومراتب المفسرين.[3]
- معنى قول النبي β أن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه.[4]
- معنى قول ذكر جمع القرآن، وشكله، ونقطه، وتحزيبه، وتعشيره.[5]
- ذكر الألفاظ التي في كتاب الله وللغات العجم بها تعلق.[6]
- نبذة مما قاله العلماء في إعجاز القرآن.[7]
- الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى.[8]
- تفسير أسماء القرآن وذكر السورة والآية.[9]
- القول في الاستعاذة.[10]

نجد أن ابن عطية بوضعه لهذه المقدمات قد مهد تمهيداً واسعاً للدخول في تفسيره وإذا تمعنا هذه المقدمات نجدها مهمة جداً في فهم التفسير، وهذا إن دل فإنما يدل على حرص ابن عطية ودقته في أن يخرج كتابه في أحسن صورة متقناً ومحكماً.

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 13.
(2) المرجع نفسه، ص 25.
(3) المرجع نفسه، ص 28.
(4) المرجع نفسه، ص 33.
(5) المرجع نفسه، ص 50.
(6) المرجع نفسه، ص 57.
(7) المرجع نفسه، ص 59.
(8) المرجع نفسه، ص 63.
(9) المرجع نفسه، ص 68.
(10) المرجع نفسه، ص 72.

المطلب الرابع
الدافع إلي تأليف المحرر الوجيز

يذكر ابن عطية في مقدمة تفسيره الباعث على تأليف هذا التفسير يقول: (فلما أردت أن أختار لنفسي وانظر في علم أعد أنواره لاظلم نفسي سبرتها[1] بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبالاً، وأجملها آثاراً، وأسطعها أنواراً، علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد). الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، وهو العلم الذي جعل للشرع قواماً، واستعمل سائر المعارف خداماً، مما تؤخذ منه مبادئها، وبه تعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصع، وما خالفه رفض ودفع، فهو عنصرها النمير، وسراجها الوهاج، وقمرها المنير. وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريباً إلى الله تعالى، وتخليصاً للنيات، ونهياً عن الباطل، وحضاً على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيختل حاملها من منازلها صيداً، ويمشي في التلطف لها رويداً. ورجوت أن الله تعالى يحرم على النار فكراً عمرته أكثر عمرة معانيه ولساناً في ميادينه ومثانيه، ونفساً ميزت براعة رصفه ومبانيه، وجالت صوامعها في ميادينه ومعانيه، فتثبت له عنان النظر، وأقطعته جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر. وما نويت علم الله إلا عن ضرورة بحسب ما يلم في هذه الدار من شقوب ويمس من لغوب. أو بحسب تعهد نصيب من سائر المعارف فلما سلكت سبيله بفضل الله ذللاً وبلغت فيه من اطراد الفهم أملاً، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتفدح وتسنح لم يرم تقيدها في فكرة وتبرج، وإنها قد أخذت بحظها من الثقل فهي تتقصى من الصدور تقصى الإبل من العقل قال الله تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً}.[2] قال المفسرون: أي علم على معانيه والعمل به ففزعت إلى تعليق ما ينتخل لي في المناظرة من علم التفسير وترتيب المعاني وقصدت أن يكون جامعاً وجيزاً).[3]

ومما ذكره ابن عطية في مقدمته يتضح لنا أنه عندما أراد التأليف بحث ونقب وأعطى نفسه فرصة كافية وأخيراً اهتدى إلى أن التفسير هو أعظم العلوم وأشرفها لأن

---

(1) من سبر الجرح والبئر وغيرها يسبره سبراً امتحن غوره ليعرف مقداره، بطرس البستاني، محيط المحيط، مؤسسة جواد للطباعة، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1983م ، ص 393.

(2) المزمل: 5.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 9، 10.

القرآن هو أساس الحياة. وقد ذكر ابن عطية في مقدمته أنه من أفضل العلوم وأشرفها ويجئ شرف التفسير بالنظر إلى أمور منهما أولاً أن موضوعه ومدار بحثه هو القرآن الكريم كتاب المولى جل وعلا.

ثانياً: يعتبر التفسير حلقة الوصل بين كل العلوم الشرعية الأخرى، وذلك أن المفسر، وهو يفسر كلام الله تعالى، يحتاج إلى معرفة تامة لمجموعة من العلوم والمعارف التي هي بمثابة العلوم المساعدة له في أداء مهمته مثل علم اللغة وعلم الحديث والبحث عن صفات المولى عز وجل. كما يتناول التفسير أمور العبادة التي توضح علاقة الإنسان بربه بصورة مباشرة وفقه ومعاملات وهو أمور توضح علاقة المؤمن بأخيه ومن العلوم التي يضمها التفسير علم الحديث وعلم مصطلح الحديث وعلم أصول الفقه واللغة والأدب والشعر والتاريخ والأنساب والسيرة والمغازي والملاحم إلى غير ذلك من العلوم.

ثالثاً: أن التفسير طريق مرضاة المولى عز وجل والفوز بجنته لأن المفسر ينبئ عن الله عز وجل، ويوضح ما يرمي إليه كلامه إلى غير ذلك من الأسباب التي تجعله أشرف العلوم وأعظمها مكانة.

المطلب الخامس
مكانة تفسير ابن عطية

لقد أجمع العلماء الذين ترجموا لابن عطية أن تفسيره له شأن عظيم وإليك طائفة من أقوالهم: قال ابن عميرة الضبي: (ت: 599هـ) (ألف يعني ابن عطية في التفسير كتاباً ضخماً أربى فيه على كل من تقدم).[1] وقال ابن الآبار: (ت: 658) (وتأليفه في التفسير جليل الفائدة كتبه الناس كثيراً وسمعوا منه وأخذوا عنه).[2] وقال المقري: (ت: 685) (ولأبي محمد بن عطية الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق وصاحبه من فضلاء المائة السادسة).[3] وقال أبو الحسن النبهاني: (ت: 800هـ) في تاريخ قضاة الأندلس (وألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير فجاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف). وقال الإمام المفسر محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي: (ت: 741) في مقدمة تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل (فأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعد لها فإنه أطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة).[4]

وقال المفسر أبو حيان: مثنياً على تفسيري الزمخشري وابن عطية (إنهما أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح والتحرير، كما يقول عن كتابهما أنهما أنجدا وأغار، وأشرقا في سماء هذا العلم بدرين وأنارا، وتنزلاً من الكتب التفسيرية منزلة الإنسان من العين، ويتيمة الدهر من اللآلي، وليلة القدر من الليالي).[5] وقال محمد الطاهر في مقدمة تفسيره مقارناً بين تفسير ابن عطية والزمخشري: (كلاهما يغوص في معاني الآيات ويأتي بشواهدها من كلام العرب، ويذكر كلامهم، إلا أن منحى البلاغة والعربية بالزمخشري أخص، ومنحى الشريعة على ابن عطية أغلب، وكلاهما عضدتا الباب ومرجع من بعدهما من أولي الألباب).[6] ويقول ابن خلدون في مقدمته: (فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمد بن عطية من

---

(1) ابن عميرة الضبي، بغية الملتمس في رجال الأندلس، ص 376.

(2) ابن الابار، المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي، ص 20.

(3) أبو الحسن الشهباني، تاريخ قضاة الأندلس ص20.

(4) محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ - 1995م، ج1، ص 5.

(5) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص 9، 10.

(6) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص 14.

المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى).[1] وقال العلامة الإمام المفسر المحدث السيوطي: (ت: 911هـ) (وألف تفسير القرآن الكريم، وهو أصدق شاهد له بإمامته).[2]

مما سبق يتبين لنا أن تفسير ابن عطية المسمي المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز له شهرته الواسعة، وشأنه العظيم في بلاد المشرق والمغرب. وإذا تتبعنا ما قاله العلماء فيه نجدهم وصفوه بعبارات مثل كتاب ضخم، أربى فيه على كل من تقدم جليل الفائدة، اشتهر وطار في الشرق والغرب، من أحسن التآليف وأعدلها، وهذه كلها تدل على مكانة هذا الكتاب التفسير. وقد كان له أثره في التفاسير التي جاءت بعده. لقد وجهت تهمة الاعتزال إلى تفسير ابن عطية المحرر الوجيز من عالمين كبيرين هما شيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر. يقول ابن تيمية: (وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ثم أنه يدع ما نقله ابن جرير الطبري عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين وانما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا وصولهم لطرق من جنس ما قررت به المعتزلة وصولهم وان كان اقرب إلى السنة من المعتزلة).[3]

ونقل ابن حجر في الفتاوي الهيثمية عن ابن عرفة* المالكي أن تفسير ابن عطية في نظره أخطر من تفسير الزمخشري لأن الزمخشري اشتهر أمره بين الناس بالاعتزال فكانوا في تفسيره على حذر. أما ابن عطية فعرف بأنه سني ولكنه يدس الاعتزال في تفسيره.[4]

وفي كلام ابن تيمية إشارة إلى أن ابن عطية يميل إلى الاعتزال ولكنه أقرب إلى أهل السنة من الزمخشري. فهو في رأيه أنه في بعض الأحيان يميل إلى جماعة من علماء الكلام يسيرون على نهج المعتزلة في استدلالاتهم. ولكن ابن عطية له آراؤه فهو

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق ص 487.

[2] السيوطي، بغية الوعاة، ص 295.

[3] ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية، مجموعة فتاوي تيمية، مقدمة في التفسير، مكتبة المعارف، الرباط، المغـرب، ج3، 361.

* محمد بن محمد بن عرفة الورقمي التونسي المالكي أبو عبد الله، ولد بتونس سنة 716هـ وتوفي سنة 803هـ إمام وخطيب ومفتي بجامع الزيتونة ، كان متبحراً في الفقه والاصول والكلام والنحو والتفسير والحديث والعربية. له مؤلفات عديدة أشهرها المبسوط، المختصر الكبير، الحدود في التعريفات الفقيه. الأعلام، الزركلي، ج7 ص42.

[4] ابن حجر الهيثمي، الفتاوي الهيثمية، ص49

صاحب مذهب يقوم على التفسير المأثور، وله الحرية بان يأخذ بما يرى، وشخصيته ظاهرة في تفسيره. ولكن من تأمل تفسيره في قوله تعالى: { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1] أدرك أنه يميل إلى ما ذهبت إليه المعتزلة في مسألة الرؤيا.

يقول ابن عطية: (قالت فرقة وهي الجمهور: الحسنى، الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل. وروي في ذلك حديث عن النبي β رواه صهيب. وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وحذيفة أبي موسى الأشعري، وعامر بن سعد، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (الزياده غرفة من لؤلوه واحدة، وقالت فرقة: الحسنى هي الحسنة، والزيادة هي تضعيف الحسنات إلى سبعمائة فدونها حسبما روي في نص الحديث؛ وتفسيره قوله سبحانه وتعالى { وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ} وهذا قول يعضده النظر، ولو لا عظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول.[2]

وهذا كل ما أخذ على ابن عطية ولكن الملاحظ أنه لم يرجح القول الثاني، لأن القول الأول مروي عن النبي β. فهو يترك ما رجح عقلاً ويقدم ما جاء روايةً وسنداً، ويقف عند عظمة القائلين بالقول الأول، وليس هذا مسلك المعتزلة.

والمتصفح لتفسير ابن عطية يجد الكثير من الآيات التي توضح موقفه الواضح من المعتزلة في المسائل التي تعتبر خلافاً بين أهل السنة والمعتزلة، وكان دائماً ينتصر لرأي أهل السنة ويعيب على المعتزلة. ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: { وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}[3].

يقول ابن عطية: (وثبتت بنص هذه الآية القوة لله بخلاف قول المعتزلة في نفيهم معاني الصفات القديمة)[4].

كذلك من الأمثلة التي ينتصر فيها لأهل السنة تفسيره لقوله تعالى: { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى}[5].

يقول ابن عطية: (وفي قوله مني إشارة إلى أن أفعال العباد خلق الله تعالى)[1].

---

(1) يونس: 26.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج7، ص137.

(3) البقرة: 165.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص57.

(5) طه، 123.

(1) ابن عطية ، المحرر الوجيز، مصدر سابق ، ج6 ص27.

كذلك من الأمثلة تفسيره لقوله تعالى: { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}[2]

يقول ابن عطية: (ويصح أن تكون الملاقاة هنا بالرؤيا التي عليها أهل السنة وورد بها متواتر الحديث).[3] ولو تأملنا قوله لأدركنا أننا مع رأي أهل السنة في مسألة الرؤيا.

كذلك تفسيره لقوله تعالى: {اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}[4] يثبت صفة الحياة لله على مذهب أهل السنة والجماعة بقوله: (الحي صفة من صفات الله تعالى ذاتية، وذكر الطبري عن قوم أنهم قالوا: الله تعالى حي لا بحياة، وهذا قول المعتزلة وهو قولٌ مرغوب عنه)[5].

ومن النماذج يتضح لنا؛ أن ابن عطية كان يسير في تفسيره على مذهب أهل السنة، وأنه كان يقوم بالرد على آراء المعتزلة. فهو مع مذهب أهل السنة عن اقتناع لا عن تسليم. وهكذا نخلص إلا أن ابن عطية لم يكن معتزلياً كما أتهمه ابن عرفة، وكما نقل عنه بن حجر.

وهكذا خلف ابن عطية ثروة علمية ضخمة خلدت اسمه بين علماء الأمة وهي تفسيره المشهور المسمي المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز وهو تفسير قيم يعد من أهم التفاسير وذلك بشهادة العلماء.

---

[2] البقرة، 46

[3] ابن عطية ، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1 ص279.

[4] البقرة 255.

[5] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ج2 ص379.

المبحث الثالث
أثر التفاسير السابقة في الكتاب

لا بد لمن يريد التأليف في أي فرع من العلوم أن يقف على الدراسات التي سبقته ولا بد لهذه الوقفة من أثر عليه في موافقتها أو نقدها أو الزيادة عليها. وقد اعتمد ابن عطية على عدد من الذين سبقوه في مجال التفسير وقد تأثر ابن عطية بهذه التفاسير. والملاحظ أن أكثر الذين تأثر بهم ابن عطية في تفسيره الطبري وهو محمد ابن جرير أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام ولد في طبرستان واستوطن ببغداد، عرض عليه القضاء فأبى. له أخبار الأمم والملوك يعرف بتاريخ الطبري وجامع البيان في تفسير القرآن يعرف بتفسير الطبري في 30 جزءاً.[1] وتفسير أبي بكر محمد بن الحسن النقاش المسمي شفاء الصدور.[2] وتفسير أبي العباس أحمد بن عماد المهدوي[3] المسمي التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، وتفسير أبي محمد مكي ابن أبي طالب، وهو مخطوط مفقود، كما تأثر بغيرهم من أئمة التفسير.[4]

وفي هذا المبحث نقف على أثرها عليه، ونبدأ بتفسير ابن جرير الطبري وهو من أهم التفاسير المشرقية التي تأثر بها ابن عطية وأفاد منها في عنايته بالمأثور إلا أنه حذف الأسانيد، كما تأثر به في كثير من الآراء، ولم يكن موقفه منه موقف الناقل الموافق بل كان كثيراً ما يخالف الطبري ويناقشه في أقواله كما في مناقشته في قوله في قصة شك إبراهيم في إحياء الموتى في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى}.[5] قال ابن عطية: واختلف الناس لِم صدرت هذه المقالة عن إبراهيم عليه السلام فقال الجمهور: إن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً في إحياء الموتي قط وإنما طلب المعاينة.[6]

---

(1) الزركلي، الأعلام، ج6، ص 69.

(2) هو محمد بن الحسن بن محمد أبو بكر النقاش، عالم بالقرآن أصله من الموصل من تصانيفه شفاء الصدور في التفسير، توفي في شوال سنة 351هـ ودفن بداره بدار قطن، الأعلام، الزركلي، ج6، ص 81.

(3) هو أحمد بن عماد أبو العباس المهدوي التميمي مقري أندلسي أصله من المهدية بالقيروان رحل إلى الأندلس سنة 408 صنف كتباً منها التوصيل الجامع لعلوم التنزيل وهي تفسير كبير واختصره وسماه التحصيل في مختصر التفصيل وله كتب في القراءات منها التيسير، الأعلام، الزركلي، ج1، ص 184.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابقج1، ص 3.

(5) البقرة: 260.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 417.

ترجم الطبري في تفسيره فقال: (وقال آخرون قال ذلك لربه لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال: ما في القرآن آية أرجى عندي منها وذكر عن عطاء بن رباح أنه قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال: ربي أرني كيف تحي الموتى وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله β قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم).[1] ثم رجح الطبري هذا القول الذي يجرى مع ظاهر الحديث.[2] يقول الطبري: (وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما صح به الخبر عن رسول الله β أنه قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم قال ربي أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن. وأن تكون مسألته ربه ما سأله أن يريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه كالذي ذكرنا عن ابن زيد آنفاً من أن إبراهيم لما رأى الحوت الذي بعضه في البر وبعضه في البحر فقد تعاوده دواب البحر وطير الهواء ألقى الشيطان في نفسه فقال: متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فسأل إبراهيم حينئذ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ليعاين ذلك عياناً فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلقى في قلبه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك فقال له ربه: أو لم تؤمن يقول أو لم تصدق يا إبراهيم بأني على ذلك قادر؟ قال: بلى يا رب لكن سألتك أن تريني ذلك ليطمئن قلبي فلا يقدر الشيطان أن يبقي في قلبي مثل الذي فعل عند رؤيتي هذا الحوت).[3] قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وما ترجم به الطبري عندي مردود، وما أدخل تحت الترجمة متأول، فأما قول ابن عباس (هي أرجى آية) فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك. ويجوز أن يقول: هي أرجى آية لقوله: (أو لم تؤمن) أي أن الإيمان كافٍ لا يحتاج بعده إلى تنقير وبحث، وأما قول عطاء ابن رباح: (دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس) فمعناه من حب المعاينة وذلك أن النفوس مستشرفه إلى رؤية ما أخبرت به ولهذا قال: النبي β ليس الخبر كالمعاينة.[4] وأما قول النبي β نحن أحق بالشك من إبراهيم فمعناه أنه لو كان شك لكنا نحن أحق به، ونحن لا نشك فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك، فالحديث

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير صحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، دار المعرفة، بيروت، ج3، ص 108.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 416.

(3) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان من تأويل القرآن، دار الفكر بيروت، ط 1398هـ 1978م، ج3، ص 34.

(4) أخرجه أحمد في مسنده.

مبني على نفي الشك عن إبراهيم، والذي روى فيه عن النبي β أنه قال: وذلك محض الإيمان إنما هو في الخواطر الجارية التي لا تثبت، وأما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام.[1]

أما قوله {ليطمئن قلبي} قال الطبري: (معنى ليطمئن قلبي ليوقن وحكى نحو ذلك عن سعيد بن جبير وحكى عنه ليزداد يقيناً وقاله إبراهيم وقتادة، وقال بعضهم لازداد إيماناً مع إيماني). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (ولا زيادة في هذا المعنى تُمكن إلا السكون عن الفكر وإلا فاليقين لا يتبعض).[2]

في هذا النموذج انتقد ابن عطية رأي الطبري، ومن هنا ندرك أن ابن عطية لم يكن ناقلاً لآراء الطبري بل كان له نظر فيها وهذه الآية دليل على ذلك.

كذلك من النماذج قوله تعالى: {والشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ}.[3] قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (قال الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما إن الشجرة الملعونة يعني الملعون آكلها لأنها لم يجئ لها ذكر). قال ابن عطية: (ويصح أن يراد الملعونة هنا فأكد الأمر بقوله في القرآن وقالت فرقة المبعدة: المكروهة؛ وهذا أراد لأنه لعنها بلفظ اللعنة المتعارف عليه، فهذا قريب في المعنى من الذي قبله، وأيضاً فما ينبت في أصل الجحيم فهو في نهاية البعد من رحمة الله).[4] وفي هذا النموذج أيضاً دليل على أن موقف ابن عطية من الطبري لم يكن موقف الناقل.

من النماذج أيضاً قوله تعالى: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.[5] يقول ابن عطية قال الطبري: (وفي إجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للأكل دليل على جواز أكل ما ذكر للركوب قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وفي هذا نظر، ولحوم الخيل عند كثير من العلماء، حلال وفي جواز أكلها حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وحديث جابر بن عبد الله كنا نأكل الخيل في عهد النبي β.[6] والبغال والحمير مكروهة عند الجمهور، وهو تحقيق مذهب مالك رحمه الله وحجة من

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 418.

(2) نفسه، ج2، ص 420.

(3) الإسراء: 60.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابقج8، ص 129، 130.

(5) النحل: 108.

(6) أخرجه النسائي في سننه، باب الاذن في أكل لحوم الخيل، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار إحياء التراث بيروت، ج7 ص202.

ألحق الخيل بالبغال والحمير في الكراهية القياس إذ قد تشابهت وفارقت الأنعام في أنها لا تجتر، وأنها ذات حوافر، وأنها لا أكراش لها، وأنها متداخلة في النسل، إذ البغال بين الخيل والحمير، فهذا من جهة النظر، وأما من جهة الشرع فإنها قرنت في هذه الآية وأسقطت الزكاة فيها.[1] وهذا يدل على أن ابن عطية لم يكن ناقلاً لآراء الطبري بل كان له نظره.

من التفاسير التي سبقت تفسير ابن عطية كما ذكرنا تفسير النقاش المسمي شفاء الصدور، وفي تفسير ابن عطية بعض النماذج منها تفسيره لقوله تعالى: {قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}.[2]

يقول ابن عطية في تفسيرها: (وهذه عبارة تقتضي كفراً، وذهب بعض الناس إلى أن المعنى اذهب أنت وربك يعينك، وإن الكلام معصية لا كفر. وقولهم فقاتلا يقطع بهذا التأويل). وذكر النقاش عن بعض المفسرين أن المراد بالرب هنا هارون لأنه كان أسن من موسى، وكان معظماً في بني إسرائيل محبباً لسعة خلقه، ورحب صدره فكأنهم قالوا اذهب أنت وكبيرك. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وهذا تأويل بعيد وهارون إنما كان وزيراً لموسى وتابعاً له في معنى الرسالة ولكنه تأويل يخاص بني إسرائيل من الكفر). وذكر الطبري عن قتادة أنه قال: (بلغنا أن رسول الله β لما عزم على قتال قريش في عام الحديبية جمع العسكر وكلم الناس في ذلك فقال المقداد بن الأسود: لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل {فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} لكنا نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون وذكر النقاش أن الأنصار قالت هذه المقالة للنبي β). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وجميع هذا وهم غلط قتادة رحمه الله في وقت النازلة وغلط النقاش في قائل المقالة، والكلام إنما وقع في غزوة بدر حيث نزل رسول الله β ذفران فكلم الناس وقال لهم أشيروا على أيها الناس فقال المقداد: هذه المقالة في كلام طويل ذكر ذلك ابن اسحق ثم تكلم من الأنصار سعد بن معاذ بنحو هذا المعنى ولكن سبقه المقداد إلى التمثيل بالآية).[3] قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وتمثيل المقداد بها وتقرير النبي β لذلك يقتضي أن الرب إنما أريد به الله تعالى ويؤنس أيضاً في إيمان بني إسرائيل لأن المقداد قد قال أذهب أنت وربك فقاتلا وليس

---

[1] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج7 ص376.
[2] المائدة ، 34.
[3] ابن عطية المحرر الوجيز ، مصدر سابق ج4 ص402- 403.

لكلامه معني إلا أن الله تعالى يعينك ويقاتل معك ملائكته ونصره فعسى أن بني إسرائيل أرادت ذلك أي أذهب أنت ويخرجهم الله بنصره وقدرته من المدينة وحينئذ ندخلها ولكن قبحت عبارتهم لاقتران النكول بها وحسنت عبارة المقداد لاقتران الطاعة والإقدام بها).[1]

من النموذج السابق نلاحظ أن ابن عطية أورد آراء النقاش في تفسير الآية ولكنه انتقد آراءه ودلل على نقده بالأدلة والبراهين فموقف ابن عطية منه لم يكن موقف الناقل بل يوضح لنا رجوعه إلى التفاسير التي سبقته. وقد قال ابن كثير عن النقاش: (تفرد بأشياء كثيرة منكرة، وصرح بعضهم بتكذيبه والله أعلم وله كتاب التفسير سماه شفاء الصدور وقال بعضهم بل هو سقام الصدور).[2]

كذلك من النماذج تفسيره لقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ}.[3]

قال ابن عطية: (واختلف الناس في التنور فقالت فرقة وهي الأكثر منهم ابن عباس ومجاهد وغيرهما هو تنور الخبز الذي يوقد فيه. وقالت فرقة: كانت هذه أمارة جعلها الله لنوح أي إذا فار التنور فاركب في السفينة، ويشبه أن يكون وجه الأمارة أن مستوقد النار إذا فار بالماء فغيره أشد فوراناً وأخرى بذلك وروى أنه كان تنور آدم خاص إلى نوح عليه السلام فكان يوقد فيه). وقال النقاش: (اسم المستوقد التنور بكل لغة وذكر نحو ذلك ابن قتيبة في الأدب عن ابن عباس). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وهذا بعيد).[4] ومن هذا النموذج نلاحظ أن ابن عطية يورد رأي النقاش وينتقده كثيراً.

ومن النماذج تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ}.[5] يقول ابن عطية: (ثم توعد تعالى الكفار عموماً بالعذاب الشديد وذلك يعم عذاب الدنيا بالسبق والغلبة وعذاب الآخرة بالنار. والإشارة بهذا الوعيد إلى نصارى نجران، وقال النقاش إلى اليهود كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وابني أخطب وغيرهم).[1] نلاحظ في تفسير ابن عطية لهذه الآية أنه أورد رأي النقاش دون أن يعلق عليه.

---

[1] ابن عطية ، المحرر الوجيز، مصدر سابق ، ج4 ص404

[2] ابو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 1422هـ - 2001م ، ج11 ص259.

[3] هود، 40.

[4] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج7 ص291.

[5] آل عمران ، 4.

[1] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج3 ص14

ومن الكتب التي سبقت تفسير ابن عطية وظهرت في تفسيره المحرر الوجيز تفسير المهدوي المسمي التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل. والمهدوي اسمه أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت: 440 هـ) والنماذج في تفسير ابن عطية كثيرة منها تفسيره لقوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ}.[2] يقول ابن عطية: (ويظنون في الآية قال الجمهور معناه يوقنون وحكى المهدوي وغيره أن الظن هنا يصح أن يكون على بابه، ويضمر في الكلام بذنوبهم فكأنهم يتوقعون لقائه مذنبين). قال القاضي أبو محمد: (وهذا تعسف والظن في كلام العرب قاعدته الشك مع ميل إلى أحد معتقديه، وقد يقع الظن موقع اليقين في الأمور المحققة لكنه لا يقع فيما خرج إلى الحس لا تقول العرب في رجل مرئي حاضر أظن أنه إنسان إنما تجد الاستعمال فيما لم يخرج إلى الحس بعد كهذه الآية وكقوله تعالى:{ظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا}.[3] وكقول دريد بن الصمة.

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ** سراتهم بالفارسي المسرد

وقوله تعالى: {أنهم ملاقوا ربهم} إن وجملتها تسد مسد مفعولي الظن والملاقاة فهي العقاب أو الثواب ففي الكلام حذف المضاف، ويصح أن تكون الملاقاة هنا بالرؤية التي عليها أهل السنة، وورد بها متواتر الحديث. وحكى المهدوي أن الملاقاة هنا مفاعلة من واحد مثل عافاك الله وهذا ضعيف لأن لقي يتضمن معنى لاقى وليست كذلك الأفعال كلها بل فعل خلاف فاعل في المعني وملاقوا أصله ملاقون لأنه بمعنى الاستقبال فحذفت النون تخفيفاً فلما حذفت تمكنت الإضافة بمناسبتها للأسماء وهي إضافة غير محضة لأنها لا تعرف، وقال الكوفيون ما في اسم الفاعل الذي بمعنى المجيء من معني الفعل يقتضي حذف النون والإضافة.[4]

في هذه الآية أورد ابن عطية رأي المهدوي ثم نقده، وعلق عليه فالظاهر أن أثر كتاب المهدوي في تفسير ابن عطية لم يكن بموافقة آرائه وإنما يذكره باعتباره سابقاً له.

كذلك من النماذج قوله تعالى: {فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ}.[1] يقول ابن عطية في تفسيرها: (وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة يدفع إلى عجز وسوء نظر وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ورصفه لأن قوله {فَهَدَى} يقتضي أنهم أصابوا الحق وثم المعنى في قوله: {فِيهِ} وتبين بقوله: {مِنَ الْحَقِّ} جنس مانع الخلاف

---

[2] البقرة ، 46.
[3] الكهف ، 53.
[4] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج1 ص279- 280.
[1] البقرة ، 213.

فيه). قال المهدوي: (وقدم لفظ الاختلاف على لفظ الحق اهتماماً إذ العناية إنما هي بذكر الاختلاف). قال القاضي أبو محمد: (وليس هذا عندي بقوي).[2] نلاحظ أن ابن عطية يورد آراء المهدوي ثم يعقب عليها فكأنه يريد أن يوضح للناس التفاسير التي سبقته والملاحظ أنه ينتقده كثيراً.

ومن الكتب التي ظهرت في تفسير ابن عطية وكانت من السابقة لتفسيره كتاب مكي المسمى الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه ومؤلفه مكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437هـ).[3]

والنماذج في تفسير ابن عطية كثيرة منها تفسيره لقوله تعالى: {قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.[4] يقول ابن عطية: (وحكى مكي وغيره أن المراد بالذي في هذه الآية عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وبالأصحاب أبوه وأمه). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وهذا ضعيف لأن في الصحيح أن عائشة رضي الله عنها لما سمعت قول القائل أن قوله تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا}.[5] نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قالت كذبوا ما نزل فينا من القرآن شئ إلا براءتي).[6] ذكر ابن عطية رأي مكي ثم انتقده وعلل لذلك.

كذلك من النماذج قوله تعالى: {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ}[1] يقول ابن عطية وقال مكي وأيضاً فقد ذكر الأزواج في قوله (فنصف ما فرضتم) ثم ذكر الزوجات بقوله (يعفون) فكيف يعبر عن الأزواج بعد (بالذي بيده عقدة النكاح) بل هي درجة ثالثة لم يبق لها إلا الولي. قال القاضي أبو محمد رحمه الله (وفي هذا نظر).[2] ذكر ابن عطية رأي مكي دون أن يعقب عليه.

---

[2] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج2 ص211.

[3] هو مكي بن أبي طالب حموش الأندلسي القيسي ، مقرئ عالم بالتفسير والعربية ، من أهل قيروان ، سكن قرطبة سنة (393هـ)، له كتب كثيرة منها: مشكل القرآن والكشف عن وجوه القراءات وعللها. له فهرس جامع لرحلته مشتمل على مروياته وتراجم شيوخه، الأعلام ، الزركلي، ج7 ص287.

[4] الأنعام ، 71.

[5] الاحقاف، 17.

[6] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج5 ص244.

[1] البقرة ، 237.

[2] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ج2 ص325.

نلاحظ أن موقف ابن عطية من الكتب التي سبقته لم يكن موقف الناقل، والدليل على ذلك مناقشته لآراء المفسرين الذين سبقوه، فهو يناقش الآراء بالدليل والحجة، وهذا يدل على سعة علمه وتبحره واجتهاده في العلم.

المبحث الرابع
أثر الكتاب في التفاسير اللاحقة

كان لتفسير ابن عطية أثر كبير فيمن جاء بعده من المفسرين المغاربة، وقد ظهر هذا الأثر واضحاً في أربعة من كتب التفسير وهي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: (ت: 671).[1] والتسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن جزي.[2] والبحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي (ت: 745).[3] والجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 876).

وقد كان أثر تفسير ابن عطية في هذه الكتب واضحاً، ولا بد من وقفة عليها لنرى الأثر الذي تركه تفسير ابن عطية فيها ونبدأ بتفسير القرطبي. لقد تأثر القرطبي بتفسير ابن عطية منهجاً وموضوعاً ونقل الكثير من نصوصه في تفسيره ونسب هذه النصوص إليه وأغفل عن ذلك في بعض الأحيان. وتناول القرطبي الكثير من كلام ابن عطية بالشرح والتعليق، وطوراً بالنقد والتعقيب. وما تميز به القرطبي في تفسيره تخريج الأحاديث النبوية التي أوردها في تفسيره وقد ظهر تأثير ابن عطية في كتابه الجامع لأحكام القرآن. فالمتتبع لهذا التفسير يرى أنه يكاد يسير في خط ابن عطية بمعني أنه التزم نفس المنهج الذي وضع أسسه ابن عطية قال ابن خلدون: (وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير، وتحرى ما هو أقرب للصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى، وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق).[4] ويجد المتصفح للجامع لأحكام القرآن اسم ابن عطية يتردد كثيراً، وهو ينقل آراءه وينسبها له يقول القرطبي: (وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها،

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر كان من عباد الله الصالحين رحل إلى المشرق وكان مستقراً بمنية ابن الخصيب بمصر توفي بها سنة 671 هـ رحمة الله ورضي عنه، من أهل قرطبة من كتبه الجامع لأحكام القرآن، الأعلام، الزركلي، ج5، ص 322.

(2) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي، توفي شهيداً سنة 741هـ له تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، الأعلام الزركلي، ج5، ص 325.

(3) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم ولد في جهات غرناطة أقام بالقاهرة وتوفي فيها سنة 745هـ من تصانيفه البحر المحيط وطبقات تجاه الأندلس، الأعلام، الزركلي، ج7، ص 152.

(4) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق ص 487.

والأحاديث إلى مصنفيها فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله).[1] والملاحظ في تأثره به وضع مقدمات في بداية تفسيره، وتقسيم المقدمة إلى أبواب، مثلاً: باب ما ورد عن النبي β وعن الصحابة ونبهاء العلماء رضي الله عنهم في فضل القرآن المجيد، وضرورة الاعتصام. به وباب نبذه مما قاله العلماء في إعجاز القرآن وباب القول في الاستعاذة والقول في البسملة وغيره. ونجد القرطبي قد تناولها وأورد فيها ما قاله ابن عطية مثلاً في باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن قال القرطبي: (قال ابن عطية وكان جلة من السلف الصالح كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتورعهم).[2]

والنماذج التي توضح تأثر القرطبي بابن عطية كثيرة منها تفسيره لقوله تعالى: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}.[3] أي نعظمك ونمجدك ونطهر ذكرك عما لا يليق بك مما نسبك إليه الملحدون قال مجاهد وأبو صالح وغيرهما وقال الضحاك وغيره المعنى نطهر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك وقال قوم منهم قتادة: نقدس لك معناه نصلي والتقديس الصلاة قال ابن عطية: (وهذا ضعيف).[4] قلت.[5] بل معناه صحيح فإن الصلاة تشتمل على التعظيم والتقديس والتسبيح وكان رسول الله β يقول في ركوعه وسجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح روته عائشة وأخرجه مسلم.[6]

في هذا النموذج أورد القرطبي رأي ابن عطية ثم نقده وتعقبه شارحاً. ومن النماذج أيضاً تفسيره لقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}[7]. يقول القرطبي {وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا} قال قوم من أهل النظر حرمت الخمر بهذه الآية لأن الله تعالى قد قال: {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم}.[1] فأخبر في هذه الآية إن فيها إثماً فهو حرام قال ابن

---

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ج1، ص 3.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 34.

(3) البقرة: 30.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 231.

(5) أي القرطبي.

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق ج3، ص 61.

(7) البقرة: 219.

(1) الأعراف:33.

عطية: (ليس هذا النظر بجيد لأن الإثم الذي فيها هو الحرام لا هي بعينها على ما يقتضيه هذا النظر قلت وقال بعضهم في هذه الآية ما دل على تحريم الخمر لأنه سماه إثماً وقد حرم الإثم في آية أخرى وقوله عز وجل قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم قال بعضهم الإثم أراد به الخمر بدليل قول الشاعر:

شربت الخمر حتى ضل عقلي ** كذاك الإثم يذهب بالعقول

قلت: وهذا أيضاً ليس بجيد لأن الله تعالى لم يسم الخمر إثماً في هذه الآية وإنما قال قل فيهما إثم كبير وأما آية الأعراف وبيت الشعر الكلام فيهما هناك مبيناً إن شاء الله وقد قال قتادة إنما في هذه الآية ذم الخمر فأما التحريم فيعلم بآية أخرى وهي آية المائدة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ}.[2] وعلى هذا أكثر المفسرين).[3]

في هذه الآية أورد القرطبي رأي ابن عطية ثم وافقه عليه، ومن الطبيعي أن يجعل القرطبي وهو مقدم على التفسير جميع ما سبقه نصب عينيه ليفيد منهما وهكذا كان حاله مع ابن عطية باعتباره سابق له.

كذلك من المفسرين الذين تأثروا بابن عطية أبو القاسم محمد بن جزي الكلبي الغرناطي في كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) وقد ظهر تأثره به في وضع مقدماته فنجده قد قسم مقدمته إلى مقدمة أولى وفيها أثنا عشر باباً؛ الأول: في نزول القرآن على رسول الله β؛ الثاني: في السور المكية والمدنية؛ الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن؛ الرابع: في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن؛ الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين؛ السادس: في ذكر المفسرين؛ والسابع: في الناسخ والمنسوخ؛ والثامن: في جوامع القراءة والفصاحة والبلاغة وأدوات البيان والحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل؛ الثاني عشر: في فضل القرآن. والمقدمة الثانية في تفسير معاني اللغات ثم تمهيد في القراءات وتاريخها. ولقد تأثر بن جزي في مقدمته بابن عطية وإن كانت لا تشبهها تماماً، وقد ذكر في مقدمته أن تفسير ابن عطية من أحسن التآليف وأعدلها.

---

(2) المائدة: 90.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق ج3، ص 61.

ومن النماذج التي ظهر فيها تأثر ابن جزي الكلبي بابن عطية تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿بدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.[1] قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾. يقول ابن جزي: (قال الأصوليون هذا عبارة عن نفوذ قدرة الله تعالى وليس حقيقي لأنه إن كان قول كان خطاباً للشيء في حال عدمه لم يصح لأن المعدوم لا يخاطب وإن كان خطاباً في حال وجوده لأنه قد كان، وتحصيل الحاصل غير مطلوب وحمله المفسرون على حقيقته وأجابوا على ذلك أربعة أجوبة.

احدها: أن الشيء الذي يقول له كن فيكون هو موجود في العالم وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا.

والثاني: إن قوله كان لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبري.

الثالث: إن ذلك خطاباً لمن كان موجوداً في حالة فيأمر بأن يكون على حالة أخرى كإحياء الموتي ومسخ الكفار، وهذا ضعيف له تخصيص من غير مخصص.

والرابع: إن معنى يقول له يقول من أجله فلا يلزم خطابه.

والأول أحسن هذه الأجوبة وقال ابن عطية: (تلخيص المعتقد في هذه الآية أن الله عز وجل لم يزل آمراً للمعدومات بشرط وجودها فكل ما في الآية يقتضي الاستقبال فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجئ بعد إن لم تكن فيكون الاستثناء). قال سيبويه: (معناه فهو يكون قال غيره يكون عطف على ما يقول واختاره الطبري). وقال ابن عطية: (وهو فاسد من جهة المعني ويقتضي أن القول مع التكوين والوجود وفي هذا نظر).[2] في هذه الآية أورد ابن جزي آراء المفسرين واختار منها وانتقد وضعها ثم أورد رأي ابن عطية وعلق عليه.

كذلك من المفسرين اللاحقين الذين تأثروا بابن عطية أبو حيان في تفسيره البحر المحيط وقد ذكر أبو حيان في مقدمته تفسير ابن عطية وأثنى عليه يقول: (وهذا أبو القاسم محمد بن عمر المشرقي الخوارزمي الزمخشري وأبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تعرض للتنقيح فيها والتحرير وقد اشتهرا أولاً كاشتهار الشمس وخلدا في الأحياء وإن رأي في الرمس وكلاهما فيه يدل على تقدمها في العلوم من منثور ومنظوم، ومنقول

---

(1) البقرة: 117.

(2) محمد بن أحمد بن جزي، الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، رجب، 1416هـ - 1995م، ج1، ص 95.

ومفهوم، وتقلب فنون الآداب، وتمكن من علمي المعاني والإعراب، وفي خطبتي كتابيهما وفي غضون كتاب الزمخشري ما يدل على أنهما فارساً ميدان وممارساً فصاحة).[1] وإذا تتبعنا تفسير أبي حيان نجد أن المنهج الذي سلكه يكاد يشابه منهج ابن عطية وقد عني عناية كبيرة بنقل آراء ابن عطية والتعقيب عليها فلا تكاد تمر مسألة في اللغة والنحو والقراءات إلا وينقل رأي ابن عطية فيها لكنه يتتبعه في أكثر الأحيان بالنقد والتعليق ومما يوضح ذلك تفسير لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}.[2] يقول أبو حيان: (قال ابن عطية أأنذرتهم أم لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام لأن فيه التسوية التي هي الاستفهام ألا ترى أنك إذا قلت مخيراً سواء على أقمت أم قعدت أم ذهبت وإذا قلت مستفهماً أخرج زيد أم أقام أستوى الأمران عندك هذا في الخبر وهذان في الاستفهام وعدم علم اح1داهما بعينه فأما عممتها التسوية وجرى على الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إياه في الإبهام وكل استفهام تسوية وإن لم يكن كل تسوية استفهام انتهي كلامه فهو حسن. إلا أن في أوله مناقشة وهو قوله أأنذرتهم أم لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وليس كذلك لأن هذا الذي صورته صورة الاستفهام ليس معناه الخبر لأنه مقدر بالفرد أما مبتدأ أو خبر سواء أو العكس أو فاعل سواء لكون سواء وحده خبر وعلى حد هذه التقارير كلها ليس معناها معني الخبر وإنما سواء وما بعده إذا كان خبراً أو مبتدأ معناه الخبر ولغة تميم تخفيف الهمزتين في نحو أأنذرتهم وبه قرأ الكوفيون وابن ذكوان وهو الأصل وأهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما طلباً للتحقيق).[3] في هذا النموذج أورد أبو حيان رأي ابن عطية وأثني عليه ثم عقب عليه.

وذكرنا من المفسرين اللاحقين الذين تأثروا بابن عطية أبا عبد الرحمن ابن محمد الثعالبي.[4] فكتابه المسمي "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" هو اختصار لتفسير ابن عطية يقول الثعالبي في مقدمته: (فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين. فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدت فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة، وثقاة أعلام هذه

(1) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ. 1983م، ج1، ص 9،10.

(2) البقرة: 6.

(3) أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق ج1، ص 47.

(4) هو أبو زيد بن عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، المولود بوادي يسر، سنة 784هـ، توفي سنة 785هـ,

الأمة، حسبما رأيته أو أوريته عند الإثبات وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود من المحققين، وكل من نقلت عنه من المفسرين من تأليفه نقلت، وعلى لفظ صاحبه عولت، ولم أنقل شيئاً من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الذلل، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أعزوها وما انفردت بنقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله اللخمي النحوي لتفسير الطبري). ثم يأتي فيقول: (وها أنا إن شاء الله أشرع في المقصود والتقط من كلام ابن عطية ما يشتمل عليه من النبذ الحسنة المختارة ما تقر به العين وإذا نقلت شيئاً من غيره عزوته لصاحبه).[1] وفي مقدمته تكمن الإشارة على اختصاره بدليل قوله فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وقوله التقط من كلام ابن عطية ولكن مع ذلك فهو لم يقتصر عليه بل أضاف إليه من كتب الأئمة. وإذا تتبعنا تفسير الثعالبي نلاحظ ذلك بوضوح ونجده قد قسم مقدمته بنفس الطريقة التي قسم بها ابن عطية باب فضل القرآن، باب في فضل تفسير القرآن وإعرابه، فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجراءة عليه ومراتب المفسرين، فصل في ذكر الألفاظ التي في القرآن وللغات العجم بها تعلق، باب في تفسير أسماء القرآن، وذكر السورة والآية، باب في الاستعاذة، باب في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، تفسير فاتحة الكتاب بحول الله تعالى وقدرته. وحتى مقدمته لم تسلم من الاختصار لأن تفسيره كله عبارة عن اختصار لتفسير ابن عطية.

والنماذج التي توضح اختصاره كثيرة منها تفسيره لقوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}.[2] جاء في تفسير ابن عطية اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء فقال جمهور العلماء هي تسمية العقوبة باسم الذنب والعرب تستعمل هذا كثيراً ومنه قول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا ** فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال قوم: (إن الله تعالى يفعل بهم أفعالاً هي في تأمل البشر هزوء حسب ما يروى أن النار تجمد كما تجمد الإهالة فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتخسف بهم وما يروي أن أبواب النار تفتح لهم فيذهبون إلى الخروج. نحا هذا المنحى ابن عباس

---

(1) عبد الرحمن، بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ، 1996م، ج1، ص 20، 21.

(2) البقرة: 10.

والحسن. وقال قوم: (استهزاؤه بهم هو استدراجهم من حيث لا يعلمون وذلك أنهم يدرؤوا نعم الله الدنيوية عليهم يظنون أنه راضٍ عنهم وهو تعالى قد حتم عذابهم فهذا في تأمل البشر كأنه استهزاء).[1] وقال الثعالبي: في قوله تعالى: {يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء فقال جمهور العلماء: هي تسمية العقوبة باسم الذنب والعرب تستعمل ذلك كثيراً. وقال قوم إن الله سبحانه وتعالى يفعل بهم أفعالاً هي في تأمل البشر هزو روى أن النار تجمد كما تجمد الأهالة فيمشون عليها ويظنون أنها منجاة فتخسف بهم وما روى أن أبواب النار تفتح لهم فيذهبون للخروج نحا هذا المنحى ابن عباس والحسن.[2] نلاحظ أن الثعالبي في اختصاره في هذا النموذج حذف استدلال ابن عطية بالشعر العربي في تسمية العقوبة وكذلك تطويل ابن عطية لقوله (وقال قوم). وهذا هو منهجه الذي بني عليه تفسيره وهو قائم على الاختصار.

كذلك من النماذج قول الله تبارك وتعالى: {نُقَدِّسُ لَكَ}.[3] قال ابن عطية: (قال الضحاك وغيره معناه نطهر أنفسنا ابتغاء مرضاتك. والتقديس التطهير بلا خلاف ومنه الأرض المقدسة أي المطهرة، ومنه بيت المقدس، ومنه القدس الذي يتطهر به وقال آخرون (ونقدس لك) معناه ونقدسك أي نعظمك ونطهر ذكرك عما لا يليق به قاله مجاهد وأبو صالح وغيرهما وقال قوم ونقدس لك معناه نصلى لك وهذا ضعيف.[4]

قال الثعالبي في قوله تعالى: {نُقَدِّسُ لَكَ} قال الضحاك وغيره معناه نطهر أنفسنا لك ابتغاء مرضاتك والتقديس التطهير بلا خلاف، ومنه الأرض المقدسة، أي المطهرة، وقال آخرون ونقدس لك معناه نقدسك أي نعظمك ونطهر ذكرك مما لا يليق به قال مجاهد وغيره.[5] ويظهر في هذا النموذج اختصار الثعالبي لابن عطية واضحاً إذا عقدنا مقارنة.

كذلك نموذج آخر يظهر فيه الاختصار وهو تفسيره لقوله تعالى: {لَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ}.[1]

قال ابن عطية: (جاوز فعل من جاز يجوز، وهي فعل من اثنين في كل موضع، لأن النهر وما أشبه كأنه يجاوز. أختلف الناس في الذين معه كم كانوا قال البراء بن

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 177.

(2) الثعالبي، الجواهر الحسان، مصدر سابق ص 50.

(3) البقرة 30.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 231.

(5) الثعالبي، الجواهر الحسان، مصدر سابق ص 60.

(1) البقرة: 249.

عازب: كنا نتحدث إن عدة أهل بدر كعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وفي رواية وثلاثة عشر رجلاً وما جاوزه معه إلا مؤمن). وقال قتادة: (ذكر لنا أن رسول الله β قال لأصحابه يوم بدر أنتم كعدة أصحاب طالوت وقال السدي وابن عباس فيهم من شرب قالا فلما نظروا إلى جالوت وجنوده).[2] وقال الثعالبي في قوله تعالى:{ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ} ، أكثر المفسرين على أنه إنما جاوز النهر من لم يشرب إلا غرفه، ومن لم يشرب جملة، ثم كانت بصائر هؤلاء مختلفة فبعض كع وقليل صمم، وهم عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً.[3]

ومن النماذج التي سبقت يتضح لنا أن لتفسير ابن عطية أثراً واضحاً في كتب التفسير التي جاءت بعده، فمن المفسرين من وافقه في آرائه، ومنهم من وافقه في بعضها، ومنهم من زاد عليها، ومنهم من اختصر مثل الثعالبي، وهكذا كان أثر التفسير واضحاً في التفاسير التي لحقته، وهذا يدل على المكانة العالية لتفسير ابن عطية.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص

(3) الثعالبي، الجواهر الحسان، مصدر سابق ص 192.

الفصل الثالث
علوم القرآن في تفسير ابن عطية
(تمهيد)

تعريف التفسير في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: فسر الشيء فسراً وضحه.[1] وفي مختار الصحاح: الفسر البيان وبابه ضرب، والتفسير مثله واستفسره كذا سأله أن يفسره.[2] وفي القاموس المحيط الفسر الإبانة وكشف المغطى.[3]

وجاء في لسان العرب أيضاً الفسر البيان فسر الشيء يفسِره بالكسر ويفسره بالضم فَسره أبانه والتفسير مثله. ابن العربي التفسير والتأويل والمعنى واحد وقوله عزّ وجلّ: [وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً].[4] الفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسير.[5]

وفي محيط المحيط فسر الشيء ويفسره فسراً بينه وأوضحه، فسر الشيء بمعنى فسره للمبالغة واستفسره كذا سأله أن يفسره له والاستفسار عند أهل المناظرة بيان معنى اللفظ وهو إنما يكون إذا جاء في اللفظ إجمال أو غرابة فهو تعنت تفوت به فائدة المناظرة، والتفسير مصدر فسر.

والأشهر أن التفسير هو إيضاح معنى اللفظ، والجمع تفاسير، وفي التعريفات التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار يقول القرطبي في قوله تعالى: [إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً].[6] أي تفصيلاً.[7]

نلاحظ أن المعنى اللغوي للتفسير يدور حول الوضوح والكشف والإبانة، وكلها ألفاظ بمعنى التفسير وهذا إن دل فإنما يدل على غزارة اللغة العربية وهي خاصية تميزت بها عن سائر اللغات الأخرى.

معنى التفسير في الاصطلاح:

---

(1) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون ط، ج2، ص 688.

(2) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1986م، ص 211.

(3) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ج2، ص 114.

(4) سورة الفرقان، الآية 33.

(5) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، تحقيق: عبد الله علي الكبير أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، بدون تاريخ، ج5، ص 3412.

(6) سورة الفرقان، الآية 33.

(7) المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1983م، ص 689 – 690.

يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد لأنـه لـيس قواعد وملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية ويكتفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله أو أنـه المبـين لألفـاظ القـرآن ومفهوميتها. ويرى بعض آخر منهم أن التفسير من قبيل المسائل الجزئيـة أو القواعـد الكلية أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد فيتكلف له التعريف فيذكر في ذلك علومـاً أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن كاللغة والصرف والنحو والقراءات وغير ذلك.[1]

وقد تعددت معاني التفسير اصطلاحاً وكثرت الأقوال فيه تبعاً لمذاهب المفسرين وطرائقهم ففي الشرع هو توضيح معنى آية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة وهو علم من العلوم المدونة والتفسير عند النحاة يطلق على التمييز وعند أهل البيان هو من أنواع إطناب الزيادة وهو أن يكون في الكلام لبس أو إخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره نحو[إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً] [2] والتفسير عند البديعيين أن يؤتى بكلام مجمل ثم يفصل كقول الشاعر:

ثلة تشرق الدنيا ببهجتها ** شمس الضحى وأبو إسحق والقمر[3]

وعلم التفسير كذلك هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمـدβ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والتصريف وعلـم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسـباب النـزول والتـاريخ والناسـخ والمنسوخ. وقد أكثر الناس فيه من الموضوعات ما بين مختصر ومبسوط وكلهم يقتصر على الفن الذي برع فيه وغلب عليه. فالزجاج صاحب كتاب معاني القرآن ت 311هـ يغلب عليه ذكر الغريب، والثعلبي ت 427هـ صاحب التفسير المسمي الكشف والبيان يغلب عليه القصص، والزمخشري ت 538هـ صاحب تفسير الكشاف يغلب عليه ذكر البيان، والفخر الرازي ت 606هـ صاحب التفسير المسمي مفاتيح الغيب يغلب عليـه علم الكلام وما في معناه من العلوم العقلية. ومن المعلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه لذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابه بلغتهم وإنما احتـاج إلـى التفسير والشرح لبعض الأمور منها أن القرآن بقوته يجمع المعاني الدقيقة فـي اللفـظ

(1) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبه، القاهرة، ط6، 1416هـ، 1995م، ج1، ص 15 – 16.

(2) سورة المعارج، 19 – 21.

(3) البستاني، محيط المحيط، مصدر سابق، ص 69.

الوجيز فربما عسر فهمه والمراد منه فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ومنهـا احتمال اللفظ لأكثر من معنى كما في المجاز والمشترك فيحتـاج المفـسر إلـى بيـان الغرض من اللفظ وترجيحه.[1]

ومن المعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملاً جملاً وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومن معاني القرآن ما هو في العقائد الإيمانية، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدم، ومنها ما يتأخر، ويكون ناسخاً لـه. وكـان النبي β يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ فيعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه كما علم من قوله تعالى: "إذا جاء نـصر الله والفتح".[2] إنما تعنى وفاة النبي β. ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين وتداول ذلك التابعون من بعدهم. ونقل ذلك عنهم ولم يزل متناقلاً بين الـصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين.[3]

قال أبو حيان عن التفسير في الاصطلاح: (إنه علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبة ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتقسيمات لذلك).[4]

وعرفه الزركشي في البرهان (بأنه نزول الآية وأقاصيصها والإشارات النازلـة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومجملها ومفسرها وزاد فيها قوم فقالوا: حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرهـا ونهيها، وعبرها وأمثالها.[1]

والمقصود منه في اصطلاح العلماء الكشف عن معاني القرآن الكـريم وبيـان المراد منه، وما يتطلبه ذلك من بيان قراءاته وأسباب نزوله ومحكمه ومتشابهه وناسخه

---

(1) عبد القادر حسين، نصوص من القرآن الكريم، مكتبة الجامعة، الدوحة 1407هـ/ 1987م، ص 101 – 102.

(2) النصر، 1.

(3) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ص 486.

(4) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ، 1983م، ج1، ص 13.

(1) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1408هـ، 1988م، ج2، ص 163 – 164.

ومنسوخه وخاصه وعامه ومطلقه ومقيده ومجمله ومفسره إلى غير ذلك مما يبين المقصود منه.[2]

وعرف العلماء أيضاً التفسير في الاصطلاح بأنه (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية) وعرفوه أيضاً بأنه (علم يبحث عن أحوال الكتاب العزيز من جهة ونزوله وسنده وآرائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالأحكام) وعرفوه بأنه (علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبة ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وغير ذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وما به توضيح المقام كالقصة والمثل).[3]

والحق إن علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتبين المجمل، ومنه ما لا يتوقف ويكفي في تحصيله التفقه على الوجه المعتبر.[4]

ومن هذه التعريفات يتبين لنا أن علم التفسير علم يبحث في نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقضيه القواعد العربية وأصول الكلام وأصول الفقه والجدل وغير ذلك من العلوم الجمة، والغرض منه معرفة معاني النظم.[5]

طرق التفسير:

نعني بطرق التفسير النهج الذي يسير عليه المفسر في بيان المراد من الآية، وأصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحه له بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: "كل ما حكم به رسول الله β فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى: [إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً] [1] وقال تعالى: [وأنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ{] [2] وقال تعالى: [وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ

(2) عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، تفسير ابن عباس، جامعة أم القرى السعودية، ج2، ص 4.

(3) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر بيروت، بدون ت. ط، ج2، ص 4 – 5.

(4) الزركشي، البرهان مرجع سابق، ص 18.

(5) مصطفي بن عبد الله القسطنطيني حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ، 1992م، ج1، ص 427.

(1) النساء، 150.

(2) النحل، 44.

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] [3] ولهذا قال رسول الله β: "ألا أني أوتيت القرآن ومثلـه معه".[4] يعني السنة. والسنة أيضاً تنزل بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى، وقد استدل الإمام الشافعي وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة والغرض إنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله β : لمعاذ حين بعثه إلى اليمن بم تحكم قال: بكتاب الله قال: فإن لم تجد قال: بسنة رسول الله قال: فإن لم تجد قال: اجتهد رأيي فضرب رسول الله β في صدره وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله".[5] وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد. إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فـإنهم أدرى بـذلك لمـا شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختص بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الـصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمـة مثل عبد الله بن مسعود.[6]

من ذلك يتبين لنا أن أصح الطرق في تفسير القرآن هو أن يفسر القرآن بالقرآن لأنه أصح المصادر وأوثقها فإذا لم نجد فيه التفسير نظرنا في سنة النبي β لأنـه أول من بين عن الله تعالى ثم أقوال الصحابة لأنهم أدرى الناس بالقرآن بعد النبي β وإذا لم نجد فيها البيان رجعنا إلى أقوال الثقات من التابعين أمثال مجاهد ابن جبر تلميـذ ابـن عباس وسعيد بن جبير فإنهم الجيل الذي تلقى عن الصحابة وروى عنهم وننحرى مـن الكذابين في هذا الجيل لأن هذا العهد كثر فيه الوضـاعون والكـذابون وأهـل البـدع والأهواء.

أهمية التفسير:

---

(3) النحل، 64.

(4) أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم عند رسول الله β ، حديث رقم (2588)، أبو عيـسي محمـد بـن عيـسي الترمذي، سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1394هـ، 1974م، ج5، ص 38.

(5) أخرجه الترمذي في سننه، حديث رقم 1342م، الجامع الصحيح، ، ج2، ص 394.

(6) احمد عبد الحليم بن تيمية، مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية دار التقوى، بلبـيس، بـدون ت، ج13، ص 361.

إن أهمية كل علم ترتبط بأهمية موضوعه فأهمية التفسير نابعـة مـن القـرآن الكريم الذي هو أشرف الموضوعات وأقدمها لأنه كتاب الله الخالد الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو الضياء الذي ينير للإنسانية طريق الحياة الفاضلة ويرسم لها المنهج السوي في كل ما يعترضها من مشكلات بفضل ما جاء فيه من مبادئ حكيمـة وقوانين عادلة ونظم سديدة.[1]

ولأهمية التفسير فقد ذكرت بعض الأخبار التي رويت في الحض على تفـسير القرآن ومن كان يفسر من الصحابة، ومن هذه الأخبار حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي قال: سمعت أبي يقول حدثنا الحسين بن واقد قال: حدثنا الأعمـش عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجـاوزهن حتـى يعـرف معانيهن والعمل بهن.[2] وحدثنا كريب قال: حدثنا جابر بن نوح قال: حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنـا أعلم فيم نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله تناله المطايا لأتيته.[3]

ولأهمية التفسير كان سعيد بن جبير يقول: من قرأ القرآن ولـم يفـسره كـان كالأعمى أو الأعرابي الذي يهز الشعر.[4] يذكر أن مسروق رحل إلى البصرة في تفسير آية فقيل له: إن الذي يفسرها رجع إلى الشام فجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها.[5]

ومما جاء في فضل التفسير قولـه تعـالى: ﴿ومَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[6] قال أبو العالية في تفسيرها: الحكمة الفهم في القرآن وقـال قتـادة: الحكمـة القرآن والفقه فيه وقال غيره: الحكمة تفسير القرآن.

وقال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرءون القرآن ولا يعرفون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون مـا فـي الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب.[1]

---

(1) عبد الستار حامد، مباحث في علم التفسير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 1411هـ - 1990م، ص 28 – 30.

(2) الذهبي، التفسير والمفسرون، مصدر سابق، ج1، ص 9.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث، حديث رقم (8)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، البخاري، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ص 102.

(4) عون الشريف قاسم، في صحبة القرآن، دار الصحافة للنشر، الخرطوم، ط2، 1979م، ص 42.

(5) أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص 15.

(6) البقرة ، 269.

(1) ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج1 ص26.

من هنا ندرك أن تفسير القرآن أمر مهم للغاية، و تكمن أهميته والحاجة إليه في أن القرآن الكريم هو أساس الشريعة الإسلامية أنزله الله تعالى منهجاً للبشرية وشرعاً يطبق عليها فهو يحتوي على العبادات وطرق المعاملات وكل ما تحتاج إليه البشرية في الحياة الدنيا والآخرة بمعنى أن وجودهم كله مبنى على ما في القرآن الكريم من أحكام سواء كانت أحكام الأسرة والأحوال الشخصية وأحكام القصاص وجرائم الحدود وغير ذلك من العبادات والمعاملات فكل هذه الأحكام لا يمكن الوصول إليها ومعرفتها إلا عن طريق التفسير لذا كان التفسير أمراً مهماً والحاجة إليه ماسة.

التأويل:

في اللغة: جاء في لسان العرب الأول الرجوع آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً رجع وأول الشيء رجعه وآلت عن الشيء ارتدت.[2]

والناظر في القرآن الكريم يجد أن لفظ التأويل قد ورد في كثير من آياته على معان مختلفة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ﴾ [3] فهو في هذه الآية بمعنى التفسير والتعميق وقوله تعالى:﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [4] فهو في هذه الآية بمعنى العاقبة والمصير.[6]

التأويل في الاصطلاح:

التأويل عند السلف له معنيان احدهما: تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين. ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به. وبين هذا المعني والذي قبله فرق ظاهر فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح، ويكون وجود التأويل في القلب واللسان وله الوجود الذهني واللفظي والرسمي. وأما المعنى الثاني فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء أكانت ماضية أم مستقبلية فإذا قيل طلعت الشمس

---

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج11 ص33.
[3] آل عمران ، 7.
[4] النساء ، 59.
[6] الذهبي ، التفسير والمفسرون ، مرجع سابق ، ج1 ص18.

فتأويل هذا هو نفس طاوعها وهذا في نظر ابن تيمية هو لغة القرآن التي تتـرك بهـا وعلى هذا فيمكن إرجاع كل ما جاء في القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعني الثاني.[1]

والتفسير كشف المراد عن اللفظ والتأويل رد أحد المحتملين إلـى مـا يطـابق الواقع.[2]

(1) الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع السابق، ص 20.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص 55.

علوم القرآن في تفسير ابن عطية

مقدمه:

تعريف علوم القرآن:

المراد بعلوم القرآن العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن، وترتيبه ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن. وقد يسمى ذلك العلم بأصول التفسير لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها للاستناد عليها في تفسير القرآن.[1]

نشأتها:

كان الرسول β وأصحابه يعرفون عن القرآن وعلومه ما عرف العلماء وفوق ما عرف العلماء من بعد. ولكن معارفهم لم توضع على ذلك العهد كفنون مدونة، ولم تجمع في كتب مؤلفة لأنهم لم تكن لهم حاجة إلى التدوين والتأليف. وكان الصحابة رضوان الله عليهم مع هذه الخصائص أميين وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لهم والرسول β نهاهم أن يكتبوا شيئاً غير القرآن وذلك مخافة أن يلتبس القرآن بغيره أو يختلط بالقرآن ما ليس منه فلتلك الأسباب لم تدون علوم القرآن.[2] ومضى الرعيل الأول على ذلك في عهد الشيخين أبي بكر وعمر، ولكن الصحابة كانوا مضرب الأمثال في نشر الإسلام والقرآن وعلومه، ثم جاءت خلافة عثمان وقد اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب بغيرهم وخيف أن تذوب خصائص اللغة العربية لهذا أمر عثمان رضي الله عنه أن يجمع القرآن في مصحف إمام، وأن يحرق كل ما عداه ولا يعتمد على سواه وبهذا وضع عثمان رضي الله عنه الأساس لما نسميه علم رسم القرآن ثم في عهد علي رضي الله عنه أمر أبا الأسود الدؤلي بوضع علم النحو. ثم انقضى عهد الخلافة الراشدة وجاء عهد بني أمية، وهمة مشاهير الصحابة والتابعين تتجه إلى نشر علوم القرآن بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين ولكن هذه الهمة يصح أن نعتبرها تمهيداً لتدوينها. وعلى رأس من ضرب بسهم وفير في هذه الزوايا الأربعة الخلفاء وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير وكلهم من الصحابة. وعلى رأس التابعين مجاهد وعطاء وعكرمة. ومالك ابن أنس من تابعي التابعين. وهؤلاء يعتبرون واضعي الأساس لما يسمى علم التفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن، ونحو ذلك.[3]

---

(1) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 11.

(2) الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، مرجع سابق، ج1 ص22.

(3) نفسه ، ج1 ص23

المبحث الأول
أسباب النزول

سبب النزول قاصر على أمرين؛ احدهما: أن تحدث حادثة فينزل القرآن بشأنها والثاني: أن يسأل رسول الله β عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه.[1]

نزل القرآن الكريم على قسمين: قسم نزل ابتداء وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال. وفي هذا النوع مسائل الأولي: زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ، وأخطأ في ذلك بل له فوائد منها معرفة الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب ومنها أن اللفظ قد يكون عاماً، ويقوم الدليل على تخصيصه السبب. قصر التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع. ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.[2]

ولا طريق لمعرفة سبب النزول إلا النقل الصحيح إذ لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل للوعيد في ذلك. وعلى هذا فإذا روي سبب عن صحابي فهو مقبول وإن لم يعزز برواية أخرى تقويه إذ قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه فهو في حكم المرفوع إلى النبي β كما يبعد كل البعد أن يكون الصحابي قال ذلك برأيه أو من تلقاء نفسه، فخبر الصحابي لا مستند له إلا السماع والنقل والمشاهدة والرؤية.[3] وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحت معرفة أسباب النزول لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك بل له فوائد منها:

1. وجه الحكمه الباعثة على تشريع الحكم.
2. تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
3. الوقوف على المعنى.
4. أنه قد يكون اللفظ عاماً ويقوم الدليل على التخصيص فإن محل السبب لا يجوز إخراجه بالاجتهاد والإجماع.

---

(1) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق ص 73.

(2) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق ج1، ص 96، 97.

(3) ابن خليفة عليوي، جامع النقول في أسباب النزول، الرياض، ط 1404هـ، 1984م، ج1، ص 12.

5. دفع توهم الحضر.[1] وكان ابن عطية يقف على أسباب النزول للآيات والسور التي ترتبط بسبب خاص في نزولها لأنها من لوازم التفسير وبيان المراد من تلك الآيات والسور، وذلك لأن بعض الآيات لا يعرف تفسيرها إلا بمعرفة سبب النزول على فهم الحكمة التي اشتمل عليها التشريع ومن الملاحظ على موقف ابن عطية أنه ليس مجرد ناقل للمأثورات من أسباب النزول، ومثال لذلك ما ذكره في تفسير قوله تبارك وتعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} .[2]

يقول ابن عطية: (قال السدي: نزلت في الأخنس بن شريق، واسمه أبي، والأخنس لقب، وذلك أنه جاء إلى النبي β فأظهر إسلامه وقال الله يعلم أني صادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فأحرق لهم زرعاً وقتل لهم حمراً فنزلت فيه هذه الآيات). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (ما ثبت قط أن الأخنس أسلم).[3]

ويقول النيسابوري في سبب نزول هذه الآية: (قال السدي نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، وهو حليف بني زهرة، أقبل إلى النبي β فأظهر الإسلام وأعجب النبي β ذلك منه وقال إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم إني لصادق وذلك قوله ويشهد الله على ما في قلبه ثم خرج من عند رسول الله β فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر فأنزل الله تعالى فيه { إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ}).[4]

نلاحظ أن ابن عطية ليس مجرد ناقل بل نراه قد بين رأيه بقوله ما ثبت أن الأخنس أسلم.

كذلك من الأمثلة تفسير ابن عطية لقوله تعالى: { وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} .[5]

يقول ابن عطية: (وروى أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود والنصارى طلبوا من رسول الله β الهدنة، ووعدوه أن يتبعوه بعد مدة خداعاً منهم، فأعلمه الله تعالى أن

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق ج1 ص45

[2] البقرة ، 204

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج2، ص186

[4] البقرة ، 205 . وأنظر: ابو الحسن على بن احمد النيسابوري ، اسباب النزول ، دار الكتب العلمية بيروت ، ب ت ط، ص39.

[5] البقرة ، 120.

إعطاء الهدنة لا ينفع عندهم وأطلعه على سر خداعهم).[1] يقول الواحدي في سبب نزول هذه الآية: (إنهم كانوا يسألون النبي β الهدنة، ويطمعون أنهم إذا هادنهم وأمهلهم اتبعوه ووافقوه فأنزل الله هذه الآية). وقال ابن عباس: (هذا في القبلة، وأن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلى النبي β إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم فيئسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله هذه الآية).[2]

نلاحظ أن ابن عطية في ذكره لأسباب النزول أحياناً لا يذكر ما قاله الصحابي كما في المثال السابق.

كذلك من الأمثلة قوله تبارك وتعالى: {لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.[3]

يقول ابن عطية: (سبب هذه الآية فيما قال ابن عباس والبراء بن عازب أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة يا رسول الله كيف بمن مات منا وهو يشربها ويأكل الميسر ونحو هذا من القول فنزلت الآية).[4]

في هذه الآية نجد أن ابن عطية قد ذكر سبب نزولها مما أثر عن ابن عباس والبراء فهو أحياناً يذكر السبب بقوله وروي: أن سبب هذه الآية دون ذكر من روى عنه وأحياناً أخرى يذكره كما في سبب نزول هذه الآية.

كذلك من النماذج قوله تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ}.[5]

يقول ابن عطية: (واختلف في سبب هذه الآية فقال الشعبي: إن العرب كانوا أهل العزة والمنعة إذا قتل منهم عبد قتلوا به حراً وإذا قتلت امرأة قتلوا بها ذكراً فنزلت الآية بذلك ليعلم الله بالسوية ويذهب أمر الجاهلية. وحكى أن قوماً تقاتلوا قتال عمية.[1] ثم قال بعضهم نقتل بعبيدنا أحراراً فنزلت الآية). وقيل: نزلت بسبب قتال وقع بين قبيلتين من الأنصار وقيل من غيرهم فقتل هؤلاء من هؤلاء رجالاً وعبيداً ونساء فأمر رسول الله β أن يصلح بينهم ويقاصهم بعضهم ببعض بالديات على استواء الأحرار بالأحرار،

---

[1] ابن عطية ، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج2 ص469

[2] ابو الحسن على بن احمد الواحدي، أسباب النزول ، دار الحديث القاهرة، ط4 1419هـ - 1998م ، ص25.

[3] البقرة ، 93

[4] ابن عطية ، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج5 ص30

[5] البقرة ، 178

[1] عمية، رجل عمي القلب أي جاهل وقومٌ عمون وفيهم عميتهم أي جهلهم ، الرازي مختار الصحاح ، مرجع سابق، ص191.

والنساء بالنساء، والعبيد بالعبيد. وروي عن ابن عباس أن الآية نزلت مقتضية ألا يقتل الرجل بالمرأة ولا المرأة بالرجل ولا يدخل صنف على صنف ثم نسخت بآية المائدة {أن النفس بالنفس}[2].

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (هكذا روى وآية المائدة إنما هي إخبار عما كتب على بني إسرائيل فلا يترتب النسخ إلا بما تلقى عن رسول الله β من أن حكمنا في شرعنا مثل حكمهم).[3]

ونلاحظ هنا أن ابن عطية لا يكتفي بذكر سبب واحد بل نجده يذكر ما تعدد من الأسباب في الآية الواحدة ثم يرجح من بين هذه الآراء ما يراه صحيحاً.

كذلك من النماذج قوله تعالى: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً}.[4]

يقول ابن عطية: (قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره سبب هذه الآية أن النبي β أبطأ عنه جبريل مرة فلما جاءه قال له يا جبريل قد اشتقت إليك أفلا تزورنا فنزلت الآية). وقال مجاهد والضحاك: (سببها أن جبريل عليه السلام تأخر عن النبي β عند قوله في الأسئلة المتقدمة في سورة الكهف).[5] غداً أخبركم حتى فرح بذلك المشركون واهتم رسول الله β ثم جاء جبريل عليه السلام فنزلت هذه الآية في ذلك المعنى.[6]

في هذه الآية ذكر ابن عطية سبب النزول بما أثر عن الصحابة ثم أورد قول التابعين دون أن يرجح رواية على أخرى.

وهكذا كان ابن عطية يولي أسباب النزول عناية خاصة، ونلاحظ أنه لم يكن مجرد ناقل للمأثورات من أسباب النزول بل كان يرجح إذا تعارضت الآراء ولا يسلم إلا بما يرتضيه من هذه الأسباب والروايات لذلك لا يكتفي بإيراد رواية واحدة أحياناً بل يذكر كل ما وجد من هذه الروايات، وأحياناً يرجح منها ما يميل إليه وما يراه صحيحاً.

---

[2] المائدة ، 45

[3] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق، ج2 ص84 - 85

[4] مريم ، 64

[5] وذلك عند تفسيره قوله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ}، الكهف 23، يقول ابن عطية: عاتب الله نبيه β على قوله للكفار : غداً اخبركم بجواب اسئلتكم ولم يستثن في ذلك فاقتبس عنه الوحي خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه وارجف الكفار به فنزلت السورة مفرجة، ابن عطية المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج9 ص277

[6] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج9 ص499.

المبحث الثاني
الناسخ والمنسوخ

النسخ لغة:

النسخ من نسخت الشمس الظل وأزالته، ونسخ الآية بالآية إزالة مثل حكمها.[1]

النسخ اصطلاحاً:

هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي.[2]

يقول ابن عطية في تفسير قوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.[3]

(النسخ في كلام العرب على وجهين أحدهما: النقل كنقل كتاب من آخر والثاني: الإزالة فأما الأول فلا مدخل له في هذه الآية وورد في كتاب الله في قوله تعالى:{إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}).[4]

وأما الثاني الذي هو الإزالة فهو الذي في هذه الآية فهو منقسم في اللغة على ضربين أحدهما: يثبت الناسخ بعد المنسوخ كقولهم نسخت الشمس الظل، والآخر: لا يثبت كقولهم نسخت الريح والأثر ودور النسخ في الشرع حسب هذين الضربين والناسخ حقيقة هو الله تعالى، وسمى الخطاب الشرعي ناسخاً إذ به يقع النسخ، وحد الناسخ عند حذاق أهل السنة (الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه). والنسخ جائز على الله تعالى عقلاً لأنه ليس يلزم عنه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى، وليست الأوامر متعلقة بالإرادة فيلزم من النسخ إن الإرادة تغيرت، ولا النسخ بطُرو[5] علم جل الله تعالى بعلم إلى أي وقت ينتهي أمره بالحكم الأول ويعلم نسخه له بالثاني.[6]

وصور النسخ تختلف، فقد ينسخ الأثقل إلى الأخف كنسخ الثبوت لعشرة بالثبوت لاثنين.[1]وقد ينسخ الأخف إلى الأثقل كنسخ يوم عاشوراء والأيام المعدودة برمضان،

---

(1) الرازي، مختار الصحاح، ص 273.

(2) الزرقاني، مناهل العرفان، ج3، ص 176.

(3) البقرة: 109.

(4) الجاثية: 29.

(5) طرأ الشيء يطرأ فهو مهموز حصل بغتة، الفيومي المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ج1، 72.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 428، 429.

(1) أي نسخ قوله تعالى: { إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ}، الانفال:65، لقوله تعـالى: { الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ}، الانفال:66.

وقد ينسخ المثل بمثله ثقلاً وخفة كالقبلة، وقد ينسخ الشيء لا إلي بدل كصدقة النجوي. والنسخ التام أن تنسخ التلاوة والحكم، وذلك كثير، ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر. وقد تنسخ التلاوة دون الحكم كآية الرجم، وقد ينسخ الحكم دون التلاوة كصدقة النجوى، وكقوله تعالى: { إِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا}.[2] والتلاوة والحكم حكمان فجائز نسخ أحدهما دون الآخر، وينسخ القرآن بالقرآن والسنة بالسنة.[3]

ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينه لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد.[4]

من الأمثلة التي نبه ابن عطية خلال تفسيره إلى أنها من المنسوخ الاتجاه إلى بيت المقدس في الصلاة واتخاذه قبلة نسخ بقوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}.[5] يقول ابن عطية: (قال ابن فورك: وجهك شطر المسجد الحرام أمر بالتحول ونسخ لقبلة الشام وقوله تعالى: {وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ} أمر للأمة ناسخ.[6] وهذا هو نسخ المثل بمثله ثقلاً وخفة كما قال ابن عطية.

ومن أمثلة النسخ لا إلى بدل يقول ابن عطية في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ}[7] وقال جماعة من الرواة: لم يعمل بهذه الآية بل نسخت قبل العمل بها لكن استقر حكمها بالعزم عليه كأمر إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه عليه السلام ثم رفع ذلك عنه، وصح عن علي رضي الله عنه ما عمل بها أحد غيري.[1]

كذلك من الأمثلة قوله تبارك وتعالى: { إِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ}.[2] يقول ابن عطية: (واختلف الناس في معنى هذه الآية فمنهم من قال إنها

---

(2) الممتحنة: 11.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 432.

(4) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق ج1، ص 46.

(5) البقرة، 144.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 14، 16.

(7) المجادلة، 12.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج14، ص 354.

(2) البقرة، 284.

منسوخة بقوله تعالى: { لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}).[3] ومنهم من قال إنها محكمة غير منسوخة ورجح الطبري أن الآية محكمة غير منسوخة. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وهذا هو الصواب وذلك أن قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه معناه مما هو في وسعكم وتحت كسبكم، وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه، فلما كان اللفظ مما يمكن أن تدخل فيه الخواطر أشفق الصحابة والنبي β فبين الله تعالى لهم ما أراد بالآية الأولى، وخصصها، ونص على حكمه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، والخواطر ليست هي، ولا دفعها في الوسع، بل هو أمر غالب وليست مما يكسب ولا يكتسب. وكان هذا البيان فرجهم وكشف كربهم وباقي الآية محكمة لا نسخ فيها. ومما يدفع أمر النسخ أن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ، فإن ذهب ذاهب إلى تقرير النسخ فإنما يترتب له في الحكم الذي لحق الصحابة حيث فزعوا من الآية وذلك أن قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم قولوا سمعنا وأطعنا يجئ منه الأمر بأن يثبتوا على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف الله في الغفران فإذا قرر هذا الحكم فصحيح على وقوع النسخ فيه وتشبه الآية حينئذٍ قوله عز وجل: { إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ}.[4] فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا واثبتوا عليه واصبروا بحسبه ثم نسخ بعد ذلك وأجمع الناس فيما علمت على أن هذه الآية في الجهاد منسوخة بصبر المائة للمائتين وهذه الآية في البقرة أشبه شئ بها.[5]

من تفسير ابن عطية لهذه الآية نلاحظ عنايته بتوضيح الآيات المختلف فيها في النسخ وأوضح رأي ابن عطية أن هذه الآية ليست منسوخه بل مخصصه بالآية { لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}.[1]

ومن الأمثلة قوله تبارك وتعالى:{ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً}.[2]

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وكانت هذه أول عقوبات الزناة الإمساك في البيوت قال عبادة بن الصامت والحسن ومجاهد حتى نسخ بالأذى الذي بعده ثم نسخ ذلك بآية النور بالرجم في الثيب وقالت فرقة بل كان الأذى هو الأول ثم نسخ بالإمساك ولكن التلاوة أخرت وقدمت ذكره ابن فورك (سبيلا) معناه مخرجاً بأمر من أوامر الشرع.

---

(3) البقرة، 286.

(4) الأنفال، 65.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 532، 533.

[1] البقرة: 286

وروى حطان بن عبد الله الرقاشي عن عمران بن حصين أنه قال كنا عند النبي β فنزل عليه الوحي ثم أقلع عنه ووجهه محمر فقال قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم).[3]

وآية النور هي {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}.[4]

يقول ابن عطية: (وهذه الآية باتفاق ناسخة لآية الحبس وآية الأذى اللتين في سورة النساء { وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً}).[5]

من هذه الأمثلة نلاحظ أن ابن عطية قد أولى الناسخ والمنسوخ اهتماما فائقاً وذلك لأهميته في تفسير القرآن الكريم فقد تتبعه تتبعاً مستفيضاً وشرح صوره المختلفة كنسخ الأثقل إلى الأخف، والأخف إلى الأثقل، ونسخ الشئ لا إلي بدل، والنسخ التام، ونسخ التلاوة، ونسخ الحكم، دون التلاوة ثم نراه يبين الآيات المختلف فيها.

---

[2] النساء ، 15.

[3] ابن عطية المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج3 ص527. والحديث أخرجه مسلم في صحيحة باب الحدود، حديث رقم 1690، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، ج10 ص188.

[4] النور، 2

[5] النساء ، 16

المبحث الثالث
المكي والمدني

يقول السيوطي: (اعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة أشهرها أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار، الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلي هذا تثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني، والثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة وحمل على هذا قول ابن مسعود الآتي وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت).[1] قال القاضي أبو بكر في الانتصار: (إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن النبي β في ذلك قول لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول).[2]

المكي والمدني من علوم القرآن التي حرص ابن عطية على بيانها في تفسيره المحرر الوجيز يقول في سورة الفاتحة: (قال ابن عباس وموسى بن جعفر عن أبيه وعلى بن الحسين وقتادة ومحمد بن يحي بن حبان إنها مكية، ويؤيد هذا أن سورة الحجر{ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}.[3] والحجر مكية بإجماع وفي حديث أبي بن كعب إنها السبع المثاني والسبع الطول.[4] نزلت بعد الحجر بمدة. ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه كانت قط صلاة بغير الحمد لله رب العالمين: وروى: عن عطاء بن يسار وسوادة بن زياد والزهري أن سورة الحمد مدنية).[5]

والملاحظ أن ابن عطية في هذه السورة اعتمد على قول الصحابة والتابعين في بيان أن المكي والمدني لأنه من العلوم النقلية التي تؤخذ بالرواية والسماع ولا مجال

---

(1) رواه ابن مسعود، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار الفكر، بيروت، ط1، 1414هـ - 1994م، ج2، ص 9.

(2) جلال السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق ج1، ص 26، 27.

(3) الحجر، 87.

(4) السبع الطول هي السبع سور الأولى من القرآن الكريم.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 97.

للرأي والاجتهاد فيها. يقول ابن عطية في سورة النساء: (هذه السورة مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة وهي قوله: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً}).[1] قال النقاش: (وقيل نزلت السورة عند هجرة رسول الله β من مكة إلى المدينة المنورة). وقال القاضي أبو محمد رحمه الله: (قال بعض الناس إن قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} حيث وقع إنما هو مكي فيشبه أن يكون صدر هذه السورة مكياً، وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وإن نزل في مكة أو في سفر من أسفار النبي عليه الصلاة والسلام، وقال النحاس هذه السورة مكية). قال القاضي أبو محمد: (ولا خلاف أن فيها ما نزل بالمدينة، وفي البخاري آخر آية نزلت { يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ}.[2] ذكرها في تفسير سورة براءة من رواية البراء بن عازب).[3]

ومن الأمثلة قوله في سورة البقرة: (هذه السورة مدنية نزلت في مدد شتى).[4] ثم نراه يقول في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.[5] قد تقدم في أول السورة أنها كلها مدنية، وقد يجيء في المدني يا أيها الناس، وأما قوله يا أيها الذين آمنوا فصحيح.[6] ويدل ذلك على حرص ابن عطية على الإشارة إلى المكي والمدني من السور والآيات، ويبرز رأيه ليوضح غامضاً.

كذلك من النماذج التي يذكر فيها ابن عطية الآراء ثم يوضح رأيه قوله في سورة الرعد: (هذه السورة مكية قاله سعيد بن جبير، وقال قتادة هي مدنية غير آيتين قوله تعالى: {وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ}.[7] وقله تعالى ولو أن قرآناً حكاه الزهراوي وحكي المهدوي عن قتادة أن السورة مكية إلا قوله تعالى: { وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ}. وقوله تعالى: { وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} والظاهر

---

(1) النساء: 58.

(2) النساء: 176.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج3، ص 479.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 136.

(5) البقرة: 21.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 196.

(7) الرعد: 31.

عندي أن المدني فيها كثير، ما نزل في شأن عامر بن طفيل وأربد بن ربيعة فهو مدني وقيل السورة مدنية حكاه منذر بن سعيد البلوطي وذكره مكي بن أبي طالب).[1]

كذلك من النماذج قول ابن عطية في سورة يونس: (هذه السورة مكية قال مقاتل إلا آيتين وهي قوله تبارك وتعالى: { إِن كُنتَ فِي شَكٍّ } نزلت بالمدينة وقال الكلبي: هي مكية إلا قوله: {وَمِنهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ}. نزلت في اليهود بالمدينة، وقالت فرقة: نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة وما قبلها بالمدينة).[2] نلاحظ أن ابن عطية بيّن رأيه وذكر الآراء دون أن يرجح أو يعلق على رأي وهكذا ابن عطية أحياناً يرجح، وأحياناً يذكر الآراء التي وردت في المكي والمدني دون تعليق.

كذلك من النماذج قول ابن عطية في سورة هود: (هذه السورة مكية كلها إلا قوله تعالى:{ لَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ}.[3] نزلت في ابن سلام وأصحابه وقوله: { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}.[4] نزلت في شأن الثمار وهذه الثلاث مدنية قاله مقاتل على أن الأولى تشبه المكي، وعن ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وجابر بن زيد أن السورة مكية كلها).[5]

ذكر ابن عطية رأي مقاتل وعلق عليه بقوله: على أن الأولى تشبه المكي ثم ذكر رأي ابن عباس ومن معه دون أن يعلق.

ومن النماذج التي ذكرت يتضح لنا حرص ابن عطية دائماً على الإشارة إلى المكي والمدني من السور والآيات، ويرجح أحياناً إذا تعددت الآراء، وأحياناً يذكرها دون ترجيح، والواضح أنه قد أولى عناية فائقة بالمكي والمدني باعتباره من علوم القرآن التي تعين على تفسيره.

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج8، ص 107، 108.

(2) المرجع السابق، ج7، ص 93.

(3) هود: 12.

(4) هود: 114.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج7، ص 232.

المبحث الرابع
أسماء السور وفواتحها

أسماء السور:

قال القتبي: (السورة تُهمز ولا تُهمز، فمن همزها جعلها أسأرتُ أي أفضلتُ من السؤر وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن. ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم، وسهل همزها. ومنهم من يتبعها بسور البناء أي القطعة منه أي منزلة بعد منزلة وقيل من سور المدينة لاحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالبيوت. ومنه السوار لاحاطته بالساعد وقيل لارتفاعها لأنها كلام الله السورة المنزلة الرفيعة قال النابغة:

ألم تر إن الله أعطاك سورة ** ترى كل ملك حولها يتذبذب

وقال الجعبري:[1] (حد السورة قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات. وقد يكون للسورة اسم واحد وقد يكون لها اسمان فأكثر).[2]

فواتح السور:

اعلم أن الله افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها الأول: الثناء عليه؛ والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح ونفي وتنزيه عن صفات النقص. فالأول: التحميد؛ والثاني: التسبيح. والثاني: حروف التهجي؛ والثالث: النداء؛ والرابع: الجمل الخبرية، والخامس: القسم؛ السادس: الشرط؛ السابع: الأمر؛ الثامن: الاستفهام؛ والتاسع: الدعاء؛ العاشر: التعليل في لإيلاف قريش.[3]

ونجد أن ابن عطية قد اهتم بأسماء السور وفواتحها وقد أولاها عناية فائقة فهو قبل البدء في تفسير أي سورة يحيطها بما يتلاءم معها من هذه المباحث، ولا يغفل في هذا عما اشتهر من أسماء السور القرآنية إذا لم يكن اسم واحد متعارف عليه للسورة.

يقول ابن عطية في سورة الفاتحة: (وأما أسماؤها فلا خلاف أنها يقال لها فاتحة الكتاب لأن موضعها يعطي ذلك. وٱختلف هل يقال لها أم الكتاب؟ فكره الحسن بن أبي

---

(1) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري أبو اسحق عالم القرآن من علماء الشافعية له نحو مائة كتاب منها شرح الشاطبية وكنز المعاني في القرآن وغيرها من القراءات ولد سنة 640هـ وتوفي 732هـ، الأعلام، الزركلي، ج1، ص 55.

(2) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق ج1، ص 175 – 177.

(3) المرجع نفسه، ج2، ص 292.

الحسن ذلك فقال أم الكتاب الحلال والحرام قال الله تعالى: { آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}).[1] وقال البخاري: (سميت أم الكتاب لأنه مبدؤٌ بكتابها في المصحف وبقراءتها في الصلاة).[2] وفي تسميتها بأم الكتاب حديث رواه أبو هريرة واختلف هل يقال لها أم القرآن فكره ابن سيرين وجوزه جمهور العلماء. قال يحي بن يعمر: (أم القرى مكة وأم خراسان مرو وأم القرآن سورة الحمد). وقال الحسن بن أبي الحسن: (اسمها أم القرآن وأما المثاني فقيل سميت بذلك لأنها استثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها ذخراً لها).[3]

يقول الطبري: (وسميت فاتحة الكتاب لأنها يفتتح بكتابها المصاحف، ويقرأ بها في الصلوات، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن وغيرها وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة وذلك من معناها شبيه بمعنى فاتحة الكتاب، وإنما قيل لها ذلك لكونها كذلك أم القرآن لتسمية العرب كل جامع أمراً أو مقدماً لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع أماً فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس، وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش أماً).[4]

نرى أن ابن عطية ذكر الآراء التي ذكرت في أسماء سورة الفاتحة وفصل في ذلك متأثراً بالطبري فقد فصل القول في أسمائها.

كذلك نجد ابن عطية يقول في سورة البقرة: (ويقال لها فسطاط القرآن لعظمها وبهائها وما تضمنت من الأحكام والمواعظ).[5] ويقول في سورة آل عمران: (وذكر النقاش أن اسم هذه السورة في التوراة طيبة).[6] ويقول ابن عطية في سورة النحل: (هذه السورة كانت تسمى سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده).[7]

نلاحظ أن ابن عطية يذكر أسماء السور إذا تعددت ولا يغفل عما اشتهر من أسمائها.

---

(1) آل عمران، 7.

(2) البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص 97.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ص 97.

(4) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1398هـ - 1978م، ج1، ص 36.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 136.

(6) المرجع نفسه، ج2، ص 3.

(7) المرجع نفسه، ج2، ص 363.

ذكرنا أن من فواتح السور حروف التهجي ونجد أن ابن عطية قد فصل القول فيها قال في تفسير قوله تعالى {ألم}:[1] (أختلف في الحروف التي في أوائل السور على قولين قال الشعبي عامر بن شراحيل وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين هي سر الله في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها ولكن نؤمن بها وتمر كما جاءت. وقال جمهور من العلماء: بل يجب أن يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولاً فقال علي ابن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الأعظم إلا أننا لا نعرف تأليفه منها. وقال ابن عباس هي أسماء الله أقسم بها وقال زيد ابن أسلم هي أسماء للسور، وقال قتادة هي أسماء كالفرقان والذكر وقال مجاهد هي فواتح للسور. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (كما يقولون في أول الإنشاد لشهير القصائد بل ولا بل نحا هذا النحو أبو عبيدة والأخفش وقال قوم هي حساب (أبي جاد) لتدل على مدة ملة محمد β كما ورد في حديث حيي بن أخطب وهو قول أبي العالية رفيع وغيره وقال قرطب وغيره: هي إشارة إلى حروف المعجم كأنه يقول للعرب إنما تحديتكم بنظم من هذه الحروف التي عرفتم فقوله {ألم} بمنزلة قولك (أ. ب. ت. ث) لتدل بها على التسعة والعشرين حرفاً. وقال قوم هي أمارة جعلها لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتاب في أول سورة منها حروف مقطعة. وقال ابن عباس: هي حروف تدل على (أنا الله أعلم) (أنا الله أرى) (أنا الله أفصل).

وقال ابن جبير عن ابن عباس: هي حروف كل واحد منها إما أن يكون من اسم من أسماء الله وإما من نعمه وإما اسم ملك من ملائكته أو نبي من أنبياءه. وقال قوم: روي أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة نزلت ليستغربوها فيفتحوا لها أسماعهم فيسمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (والصواب ما قاله الجمهور أن تفسر هذه الحروف ويلتمس لها التأويل لأنا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظماً لها ووضعاً بدل الكلمات التي الحروف منها كقول الشاعر:

قلنا لها قفي فقالت قاف

أراد قالت وقفت. وكقول القائل:

بالخير خيرات وإن شراً فشا ** ولا أريد الشر إلا أن تا

---

(1) البقرة: 1.

أراد وإن شراً فشر وأراد أن تشاء. والشواهد في هذا كثيرة فليس كونها في القرآن مما تنكره العرب في لغتها ينبغي إذا كان معهود كلام العرب أن يطلب تأويله ويلتمس وجهه.[1] رجح ابن عطية رأي الجمهور في الحروف المقطعة التي في أوائل السور وعلل لذلك. ونلاحظ أنه في تفسيره لهذه الحروف في بداية السور يقول: وقد تقدم ذكر اختلاف العلماء في الحروف التي في أوائل السور في أول سورة البقرة.[2] ويقول ابن عطية عند تفسيره لقوله عز وجل:{كهيعص}[3] اختلف الجمهور على أقوال قد استوفينا ذكرها في سورة البقرة ونذكر الآن ما يختص بهذه السورة قال ابن عباس وابن جبير والضحاك هي حروف دالة على أسماء من أسماء الله عز وجل الكاف من كبير وقال ابن جبير أيضاً هي من كافٍ وقال أيضاً هي من كريم). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (فمقتضى أقواله أنها دالة على كل اسم فيه كان من أسماء الله تبارك وتعالى قالوا والهاء من هاد والياء من علي وقيل من حكيم. وقال الربيع بن أنس: هي من يأمن يجير ولا يجار عليه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: والعين من عزيز، وقيل: من عليم، وقيل: من عدل والصاد من صادق، وقال قتادة: بل كهيعص بجملته اسم السورة، وقالت فرقة: بل هي اسم من أسماء الله تبارك وتعالى. وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول اغفر لي. قال القاضي أبو محمد: (يريد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينادي الله تعالى بجميع الأسماء التي تضمنها كهيعص كأنه أراد يا كريم يا هادي يا علي يا عزيز يا صادق اغفر لي فجمع هذا كله باختصار في قوله يا كهيعص. وقال ابن المستنير وغيره كهيعص عبارة عن حروف المعجم ونسبة الزجاج إلى أكثر هذه اللغات أي هذه الحروف منها ذكر رحمة ربك عبده زكريا).[4]

نجد أن ابن عطية قد فصل الآراء في الحروف المقطعة ويذكر ما يختص بالسورة كما قال في كهيعص فاتحة سورة مريم.

من هذه النماذج يتضح أن ابن عطية قد أولى عناية كبيرة لأسماء السور وفواتحها وهكذا نجد أن ابن عطية قد اعتني بمباحث علوم القرآن ذات الصلة الوثيقة بالتفسير بمقدار ما يكشف عن المعنى ويوضح المراد متجنباً الإطالة والتفصيل. وليست

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 138، 139.

(2) ابن عطية، المرجع نفسه، مصدر سابق ج3، ص 3.

(3) مريم، 1.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج9، ص 423، 424.

هذه كل العلوم التي أولاها ابن عطية اهتمامه في التفسير بل هذه أبرز العلوم التي ظهرت بشكل أكثر وضوحاً واهتماماً عند ابن عطية من غيرها من علوم القرآن التي حظيت بعناية أقل مثل أول وآخر ما نزل من القرآن والمحكم والمتشابه من الآيات.

الفصل الرابع
منهج ابن عطية في التفسير

عرض ابن عطية لتفسير آيات كتاب الله وشرح معانيه بأسلوب سهل واضح لا لبس فيه ولا غموض ولا صعوبة ولا توعر في اللغة التي استخدمها في تفسيره، أما الأساس الذي يعد صاب المنهج وجوهره فقد حدده في قوله (وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم أو نحو أو لغة أو معنى أو قراءة وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر.[1] كما في كثير من كتب التفسير).[2]

وفي هذا الموضوع عدة نقاط تحتاج إلى توضيح وبيان. منها أنه عندما يتعرض لتفسير آيات كتاب الله الكريم فإنه يذكر كل ما يتعلق بالألفاظ على حسب ترتيبها ولا ينتقل من أمر إلى غيره حتى يستقصي ما فيه من آراء ويذكر رأيه إن شاء فهو حريص كل الحرص على أن يسير مع الألفاظ بالترتيب الذي وردت به الآيات حتى لا يقع فيما وقع فيه غيره من المفسرين الذين لا يتبعون الألفاظ بل ينتقلون بينها بدون ترتيب فإن هذا في نظره مفرق للنظر مشعب للفكر.[3] ثم يشرع في توضيح معاني الآيات بلغة واضحة واقفاً على الألفاظ والكلمات الصعبة التي تحتاج إلى الكشف عن معناها اللغوي بالرجوع إلى أصلها ومصدرها ثم يبين معناها بالاستدلال بالآيات والأحاديث النبوية ويسوق كذلك آراء السلف الصالح في معنى تلك الكلمة.

وبتتبعنا لتفسير ابن عطية نرى أنه يسقط كثيراً من القصص التي ملأت كتب التفسير بأقاصيص لا سند لها ولا فائدة منها ولا طائل تحتها لأن فهم الآيات لا يتوقف عليها والقضية هنا قضية الإسرائيليات التي تعتمد على الأساطير المتناقضه التي تسربت إلى كتب التفسير لأسباب شتى. وابن عطية صاحب فضل في هذه القضية لإعراضه عن ذكر أكثر هذه القصص، وهو عادة لا يذكرها إلا عند الضرورة إذ قد تحتاج الآية إليها في نظره، وكثيراً ما نراه يقول: وهناك قصص أخرى أعرض عن ذكرها لضعفها وقد وأضح مذهبه في هذا فقال: (لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به).[4] هذا هو منهجه في القصص أما بالنسبة للغة فقد عني ابن عطية بالنحو واللغة أشد

---

(1) طفر من الطفرة الوثبة، محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ط 1986م، ص 165.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 11.

(3) المصدر نفسه، ص 11.

(4) المصدر نفسه، ص 11.

العناية وأصبح تفسيره به حجة. والحق إن أهم الأركان التي تنال عناية المفسرين هي اللغة العربية بما فيها إعراب الكلمات وبيان مواقعها وتصريف المشتقات منها ولهذا نجد أن ابن عطية يخصص في مقدمته باباً عنوانه: باب في فضل تفسير القرآن والكلام على لغته والنظر في إعرابه ودقائق معانيه.[1] وابن عطية يرى أن الصلة وثيقة بين الفهم للقرآن وبين الإدراك الصحيح لأشعار العرب لهذا يروي كثيراً جداً من الشواهد الشعرية ليدلل بها على فهمه لمعاني القرآن وعلى إعرابه للكلمات متأسياً في هذا المجال بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما الذي جعل من اللغة متكأً يقف عليه وسنداً يعتمد عليه.

كذلك نجده يهتم بالقراءات ويذكر ما صح ومنها وما شذ وقد وأضح ابن عطية هذا الأمر حين قال في مقدمته (وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها واعتمدت تبين المعاني وجميع محتملات الألفاظ).[2]

أما بالنسبة لمنهج ابن عطية في الأحكام الفقهية فنجده غير متعصب لمذهبه المالكي بل كان يتحرى الدقة والصواب ويخضع للدليل عند ذكر الأحكام الفقهية وكان يذكر آراء أبي حنيفة والشافعي ويرد الرأي الذي لا يقبل دليله، ومع هذا فابن عطية لا يكثر من ذكر الأحكام الفقهية ولا يناقشها إلا في مواقف قليلة. ولابن عطية منهج متميز في التفسير يعتمد على عناصر أساسية وهي اعتماده على المأثور من الكتاب والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين مع عنايته بالقصص والقراءات والنحو بإيجاز لا يخل بفهم الآيات وذكره للأحكام الفقهية، وفي هذا الفصل تفصيل لمنهجه في التفسير.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 10.

(2) المصدر، نفسه، ج1، ص 11.

المبحث الأول
اعتماده على القرآن والسنة

أولاً: تفسيره للقرآن بالقرآن:

إن الناظر في القرآن الكريم يجد أنه اشتمل على الإيجاز والأطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص، وما أوجز في مكان قد بسط في مكان آخر، وما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى. وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى، لهذا لا بد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملاً، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن وفهم مراد الله تعالى بما جاء عن الله وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها أو يتخطاها إلى مرحلة أخرى لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه.[1]

يقول ابن كثير: (إن أصح الطرق في التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فقد بسط في مكان آخر).[2]

ونجد أن ابن عطية يميل إلى تفسير القرآن بالقرآن، ويختار الرأي الذي يؤيده القرآن. نورد بعض النماذج التي توضح ذلك. قال تعالى في سورة الفاتحة {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}.[3] يقول ابن عطية: (والمغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى هكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد، وروى ذلك عدي بن حاتم عن رسول الله β).[4] وذلك بين من كتاب الله تعالى لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله { وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ}.[5] وكقوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ

---

(1) الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق ص 42.

(2) عماد الدين بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط6، 1404هـ، 1984م، ج1، ص 7.

(3) الفاتحة: 7.

(4) أخرجه الترمذي في جامعه، باب تفسير القرآن، حديث رقم 4029، أبو عيسي محمد بن عيسي الترمذي، الجامع الصحيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1974م، ص 271.

(5) البقرة: 61.

الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ}.[1] فهؤلاء هم اليهود بدلالة قوله تعالى: {لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}.[2] والغضب عليهم هو من عند الله تعالى. وغضب الله تعالى عبارة عن إظهاره عليهم محناً وعقوبات وذلة ونحو ذلك ما يدلل على أنه قد أبعدهم من رحمته بعداً مؤكداً مبالغاً فيه. والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرع محمد β فلما ورد ضلوا وأما غير محققيهم فضلالهم متقرر منذ تفرقت أقوالهم في عيسي عليه السلام وقد قال تعالى فيهم: {لاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاء السَّبِيلِ}.[3]

من هذا النموذج يتضح لنا أن ابن عطية دلل على اختياره بكتاب الله ووضح ذلك بقوله (وذلك بين من كتاب الله) وقرنه بالحجة، وهذا دليل على أنه كان يميل إلى تفسير القرآن بالقرآن. ومما تجدر الإشارة إليه أن تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى قد جاءت به الأحاديث الصحيحة كما ذكر ابن عطية.

ومن النماذج أيضاً التي وردت في تفسير ابن عطية قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ}.[4] يقول ابن عطية: والظلم في هذه الآية الشرك تظاهرت بذلك الأحاديث عن النبي β وعن جماعة من الصحابة أنه لما نزلت هذه الآية أشفق أصحاب رسول الله β وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال رسول الله β إنما ذلك كما قال الله تعالى {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }.[5] نجد أن ابن عطية عند تفسيره لمعنى الظلم في هذه الآية ذكر أن الظلم هو الشرك ثم قال تظاهرت بذلك الأحاديث عن النبي β معنى الظلم من كتاب الله وهكذا ابن عطية يميل إلى القول الذي يؤيده القرآن ومثل هذا النوع من التفسير يعرف عند بعض المفسرين بتخصيص العام حيث إن الظلم ورد في الآية عاماً والمراد به شيئٌ خاصاً وهو الشرك. ومن النماذج التي وردت في تفسير ابن عطية والتي يتضح فيها ميله لتفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى:{ تَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }.[1]

---

(1) المائدة: 60.

(2) البقرة: 65.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 126، والآية المائدة، 77.

(4) الأنعام: 82.

(5) لقمان: 13.

(1) البقرة: 37.

يقول ابن عطية: (اختلف المتأولون في الكلمات فقال الحسن بن أبي الحسن هي قوله تعالى: { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا}.[2] ويقول أيضاً وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغي أن يقوله المذنب فقال يقول ما قال أبواه { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا}.[3] وهو مما يعرف عند أهل العلم من المفسرين ببيان المجمل حيث إن الكلمات وردت مجملة في آية البقرة وبينتها آية الأعراف).

في هذه الآية أورد ابن عطية قول من فسر هذه الآية من القرآن الكريم ولكنه لم يعلق على قولهم وهكذا نجده أحياناً يعلق وأحياناً يدلل ويقرن الدليل بالحجة.

ومن النماذج التي توضح ميل ابن عطية إلى تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.[4] يقول ابن عطية في تفسير هذه الآية: (وقوله تعالى { بِيَدِهِ الْمُلْكُ} عبارة عن تحقيق الملك وذلك أن اليد في عرف الآدميين هي آلة التملك فهي مستعارة لذلك والملك على الإطلاق هو الذي لا يبيد ولا يختل منه شيء وذلك هو ملك الله تعالى والمراد في هذه الآية ملك الملوك فهو بمنزلة قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ}.[5] ذكره الثعلبي عن ابن عباس).[6]

في هذا النموذج نجد أن ابن عطية نقل عن الثعلبي عن ابن عباس وهذا يدل على أنه في تفسيره بالمأثور يذكر أقوال المفسرين من قبله وفسر هذه الآية بنظيرتها في سورة آل عمران.

كذلك من النماذج التي توضح تفسير القرآن بالقرآن عند ابن عطية قوله تعالى: {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً}.[1] يقول ابن عطية: (الرابية النامية التي عظمت جداً ومنه الربا وربا المال ومنه قوله تعالى { اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ}).[2]

في هذه الآية فسر ابن عطية كلمة رابية ثم ذكر الآية استشهاداً ونلاحظ أنه في تفسيره للقرآن بالقرآن يذكر أحياناً مباشرة وأحياناً أخرى استشهاداً كما في هذه الآية كما يستشهد بآيات القرآن لبيان الآيات الأخرى.

---

(2) الأعراف: 23.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 261، الآية، البقرة، 37.

(4) الملك: 1.

(5) آل عمران: 26.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج 15، ص 3.

(1) الحاقة: 10.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج10، ص 65، والآية: الحج، 5.

ثانياً: السنة:

تعتبر السنة المصدر الثاني من مصادر التفسير، وذلك لأن أصح الطرق في التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن ثم القرآن بالسنة ثم أقوال الصحابة والتابعين، والسنة المصدر الثاني الذي يرجع إليه الصحابة في تفسيرهم لكتاب الله تعالى فكان الواحد منهم إذا أشكلت عليه آية من كتاب الله رجع إلى رسول الله β في تفسيرها فبيّن له ما خفي عليه لأن وظيفته البيان كما أخبر الله عنه بذلك في كتابه حين قال: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.[3]

وابن عطية كغيره من المفسرين اهتم بهذا المصدر باعتباره المصدر الثاني في التفسير. وقد وردت أحاديث كثيرة في تفسيره المحرر الوجيز واختلفت مواضع استشهاده بها فهي أحياناً في فضائل السور، وأحياناً أخرى في توضيح المعنى والنماذج كثيرة منها.

يقول ابن عطية في قوله تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.[4] {يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله β قال: إن الرجل إذا أذنب صارت نكته سوداء في قلبه ثم كذلك حتى يتغطى فذلك الران الذي قال الله تعالى {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.[5]

من هذا النموذج يتضح لنا أن ابن عطية كان يستعين بحديث النبي β في توضيح معاني الكلمات في تفسيره للقرآن الكريم.

ومن النماذج أيضاً قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}.[1]

يقول ابن عطية: (دائبين معناه متماديين، ومنه قول النبي β لصاحب الجمل الذي بكى وأجهش إليه أن هذا الجمل شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه).[2] من هذا النموذج يتضح لنا أن ابن عطية يستعين بقول النبي β في توضيح معاني القرآن الكريم.

---

(3) الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق ج1، ص 50، والآية، 44 النحل.

(4) المطففين: 14.

(5) ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج15 ص360، الآية 14 سورة المطففين ، الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن ، حديث رقم 3257.

(1) إبراهيم ، 33.

(2) ابن عطية ، المحرر الوجيز، مصدر سابق ، ج8 ص247. الحديث اخرجه ابو داوؤد في سننه ، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهايم، ابو داؤود بن الاشعث بن اسحاق ، سنن أبي داؤود ، مكتبة مصطفى البابي مصر، ط1 ، 1371هـ - 1952م، ج2 ص22 ، تدئبه من دئب في عمله جد وتعب، الرازي ، مختار الصحاح ، ص83.

ومن النماذج قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}.[3] يقول ابن عطية: (الآية بسط في التسلية أي لا تهتم للدنيا وأهلها فأمرها وأمرهم أقل لفنائه وذهابه فإنا إنما جعلنا ما على الأرض زينة أو امتحاناً وخبره، وأختلف في المراد بها فقال ابن جبير عن ابن عباس: إن الزينة الخلفاء والعلماء والأمراء. وقالت فرقة: أراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه زينة ولم تدخل في هذا المجال الجبال الصم وكل ما لا زينة فيه كالحيات والعقارب. وقال فرقة: أراد كل ما على الأرض وليس كل شيء إلا وفيه زينة من خلقه وصنعته وأحكامه. وفي معنى الآية قول النبي β: الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا وأتقوا النساء).[4]

في هذه الآية أورد ابن عطية آراء المفسرين في معنى الآية ثم بعد ذلك بين رأيه فيها استناداً على الحديث وهذه من النماذج التي توضح المعنى بالسنة النبوية الشريفة، ومن النماذج أيضاً قوله تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}.[5]

يقول ابن عطية: (ومستقر الشمس على ما روى في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام من طريق أبي ذر الغفاري رضي الله عنه بين يدي العرش تسجد فيه في كل ليلة بعد غروبها).[1] في هذه الآية وضح ابن عطية معنى الآية بالحديث الشريف وهكذا ابن عطية يستعين بالسنة في توضيح معاني القرآن.

ومن النماذج قوله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.[2] يقول ابن عطية: (أي هذه الأوامر والنواهي هي المعالم بين الحق والباطل والطاعة والمعصية فلا تتجاوزوها ثم توعد تعالى على تجاوز الحد ووصف المتعدي بالظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه والظلم معاقب صاحبه وهو كما قال β الظلم ظلمات يوم القيامة).[3]

---

[3] الكهف ، 7.
[4] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق، ج9 ص234. الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه
[5] يس، 38
[1] ابن عطية ، المحرر والوجيز، مصدر سابق، ج2، ص283. الحديث اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق رقم 2960 ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري ، دار المعرفة بيروت ج2 ص209.
[2] البقرة ، 229.
[3] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج2، ص283. الحديث اخرجه البخاري في صحيحه في باب المظالم ، البخاري ، صحيح البخاري ، مصدر سابق ج2 ص67.

وضح ابن عطية في هذا النموذج معنى الظلم واستشهد على كلامه بحديث الرسول β فابن عطية في عنايته بالمأثور يميل إلى الاستشهاد بالسنة المطهرة.

كذلك من النماذج قوله تعالى: {إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً}.[4] يقول ابن عطية: (وقوله تعالى إذا رأتهم يريد جهنم إذا اقتضاها لفظ السعير ولفظ رأتهم يحتمل الحقيقة ويحتمل المجاز على معنى صارت منهم قدر ما يرى الرائي من البعد إلا أنه ورد حديث يقتضي الحقيقة في هذا ذكره الطبري وهو أن رسول الله قال: (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار بين عيني جهنم فقيل: يا رسول الله أو لجهنم عينان فقال: اقرأوا إن شئتم إذا رأتهم من مكان بعيد).[5] ذكر ابن عطية المعنى الحقيقي والمجازي ثم بعد ذلك رجح أن المعنى المراد هو الحقيقي استناداً واستشهاداً بالحديث.

ومن النماذج قوله تعالى {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً}.[6] يقول ابن عطية: (واليتيم الصبي الذي لا أب له من الناس والذي لا أم له من البهائم وهي صفة قبل البلوغ وقد قال النبي β لا يتْم بعد حلم).[7]

ومن النماذج السابقة يتضح لنا أن ابن عطية قد أولى عناية فائقة بالسنة النبوية المطهرة في تفسيره خاصة في توضيح معاني القرآن الكريم وهي المصدر الثاني في التفسير بالمأثور.

استشهاد ابن عطية بالسنة على فضائل السور:

هناك العديد من النماذج التي توضح استشهاد ابن عطية بالحديث الشريف في بيان فضائل السور، ومن هذه النماذج فضل سورة الفاتحة يقول ابن عطية: (وأما فضل هذه السورة فقد قال رسول الله β في حديث أبي بن كعب: إنها لم ينزل في التوراة ولا في الأنجيل ولا في الفرقان مثلها).[1] كذلك يقول ابن عطية في فضل سورة البقرة وآل

---

[4] الفرقان ، 12

[5] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج11، ص11. الحديث اخرجة مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث، مسلم بن الحجاج ، مصدر سابق، ج4 ص2298.

[6] الانسان ، 8.

[7] ابن عطية المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج15 ص238. الحديث اخرجه ابو داؤود في سننه كتاب الوصايا باب ما جاء متى ينقطع اليتم، ابو داؤود سليمان بن الاشعث، سنن ابي داؤود ، مكتبة مصطفى البابي مصر ،ط 1371هـ - 1952م ج2 ص204.

(1) نفسه، ج1، ص 97، والحديث أخرجه الترمذي في جامعه باب فضائل القرآن، حديث رقم 3036، وقال عنه حسن صحيح، الترمذي، الجامع الصحيح، ج4، ص 231,

عمران: (وفي الحديث الصحيح عن النبي β أنه قال تجئ البقرة وآل عمران كأنهما غيايتان أو غمامتان سوداوان أو كأنهما ظلة من طير صواف تجادلان عن صاحبهما).[2]

ومن النماذج أيضاً يقول ابن عطية في فضل سورة يس: (وروى أنس رضي الله عنه أن رسول الله β قال: إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس).[3]

كذلك من النماذج في فضل الحواميم يقول ابن عطية: (وفضل الحواميم التي روى أنس رضي الله عنه عن النبي β أنها ديباج القرآن، ووقفة الزجاج على ابن مسعود رضي الله عنه ومعنى هذه العبارة أنها خلت من الأحكام وقصرت على المواعظ والزجر وطرق الآخرة محضاً وأيضاً هي قصار لا يلحق القارئ فيها سآمة. وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي β قال: من أرد أن يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرأ الحواميم. وهكذا نحو الكلام في المعنى وقال عليه الصلاة والسلام مثل الحواميم في القرآن مثل الحبرات من الثياب).[4] نلاحظ أن ابن عطية أحياناً يوضح معنى الحديث كما في هذا النموذج

ومن النماذج أيضاً قول ابن عطية في فضل سورة الملك: (وكان رسول الله β يقرؤها كل ليلة عند أخذ مضجعه ورواه جماعة مرفوعاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وروى عنه أنه قال إنها لتنجي من عذاب القبر وتجادل عن صاحبها حتى لا يعذب).[1]

ومن النماذج التي وردت في تفسير ابن عطية تتضح لنا عناية ابن عطية بالمأثور فيما ذكره من الأحاديث النبوية ولكنه لا يلتزم بتخريج الأحاديث النبوية في بعض الأحيان. ومما ينبه عليه انه أورد في تفسيره أحاديث ضعيفة ومن ذلك الحديث الذي أورده في فضل آية الكرسي بقول ابن عطية في تفسير قوله تعالى:{ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} .[2]

---

(2) نفسه، ج1، ص 13، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص 90.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج12، ص 268، والحديث أخرجه الترمذي في جامعه باب فضائل القرآن، رقم 3048، الترمذي، الجامع الصحيح، ج4، ص 227.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج13، ص 2، والحديث ذكره السيوطي، في الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر بيروت، ط2، 1403هـ، 1983م، ج7، ص 269.

(1) ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج15، ص1. الحديث اخرجه الترمذي في جامعه رقم 3054، الترمذي، الجامع الصحيح ج4 ص239.

(2) البقرة ، 255.

يقول ابن عطية في فضل هذه الآية: (هذه الآية سيدة آي القرآن ورد ذلك في الحديث وورد أنها تعدل ثلث القرآن وورد من قرأها لم يقربه شيطان كذلك من قرأها أول نهاره وهي متضمنة التوحيد والصفات العلى).[3]

والحديث الذي أورده ابن عطية في فضل آية الكرسي (سيدة آي القرآن) حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا حسين الجعفي عن زائدة عن حكيم بن جبير عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله β: لكل شيء سنام وأن سنام القرآن سورة البقرة وفيه آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي وقال عنه هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم فيه شعبة وضعفه).[4]

كذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}.[5]

يقول ابن عطية: (وقال السدي هذه الآية في جميع المؤمنين ولكن على بن أبي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه؛ وروى في ذلك أن النبي β خرج من بيته وقد نزلت عليه الآية فوجد مسكيناً فقال له هل أعطاك أحد شيئاً فقال نعم أعطاني ذلك الرجل الذي يصلي خاتماً من فضة وأعطانيه وهو راكع فنظر النبي β فإذا الرجل الذي أشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال النبي β الله أكبر وتلا الآية على الناس). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وقال مجاهد نزلت الآية في علي بن أبي طالب حين تصدق وهو راكع وفي هذا نظر).[1]

كذلك من النماذج تفسير ابن عطية لقوله تعالى: {وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}.[2]

يقول ابن عطية: (وقال بعض المفسرين الخيط اللون وهذا لا يطرد لغة والمراد فيما قال جميع العلماء بياض النهار وسواد الليل وهو نص قول النبي β لعدي بن حاتم في حديثه المشهور).[3]

---

[3] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق، ج2 ص379.

[4] الترمذي ، سنن الترمذي، مصدر سابق، ج4 ص232. باب فضائل القرآن، حديث رقم 3038 وقال عنه حديث غريب.

[5] المائدة ، 55.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج4، ص 491، والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور، ج3، ص 105.

(2) البقرة: 187.

نلاحظ من النماذج أن ابن عطية قد استخدم ثقافته الواسعة بعلم الحديث وأحاط بها النص القرآني وبيان مدلوله وتوضيح معانيه ولكنه أحياناً كثيرة يذكر الأحاديث دون تخريج لها ولرواتها.

(3) ابن عطية المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 125، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب قوله تعالى كلو وأشربوا حتى يتنبين لكم الخيط الأبيض من الأسود من الفجر، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص 328.

المبحث الثاني
اعتماده على المأثور من أقوال الصحابة والتابعين

أولاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة عند ابن عطية:

كان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون القرآن لأنه نزل بلغتهم وإن كانوا لا يفهمون دقائقه.[1] يقول ابن خلدون: (إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ولكنهم مع هذا يتفاوتون في الفهم فقد يغيب عن واحد منهم ما لا يغيب عن الآخر).[2] وكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله ولم يجدوا شيئاً في ذلك عن رسول الله β اجتهدوا في الفهم لأنهم من خاص العرب يعرفون العربية ويحسنون فهمها ويعرفون وجوه البلاغة فيها.[3] والمفسرون من الصحابة كثيرون إلا أن مشاهيرهم عشرة الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسي الأشعري وعبد الله بن الزبير.[4]

والمتتبع لتفسير ابن عطية يجد أنه بالإضافة إلى اعتماده على القرآن والسنة اعتمد كذلك على المأثور من أقوال الصحابة، والأمثلة على ذلك كثيرة، والشواهد مستفيضة منها قوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} .[5]

يقول ابن عطية في قوله تعالى:({وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} وأختلف في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين فقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد: فالمعنى كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تخلقوا دارسين كما يقال للشيء الدارس ميت ثم أخرجتم إلى الدنيا فأحياكم ثم أماتكم الموت المعهود ثم يحييكم للبعث يوم القيامة. وقال آخرون: كنتم أمواتاً لكون آدم ميتاً قبل أن يحيا ثم نفخ فيه الروح فأحياكم بحياة آدم ثم يميتكم ثم يحييكم على ما تقدم، وقال قتادة: كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم فأخرجتم إلى الدنيا فأحياكم ثم كما تقدم، وقال غيره: كنتم أمواتاً في الأرحام قبل نفخ الروح ثم أحياكم بالخروج إلى الدنيا ثم كما تقدم. وقال ابن زيد: إن الله تعالى أخرج نسم بني آدم أمثال الذر ثم أماتهم بعد ذلك فهو قوله وكنتم أمواتاً ثم أحياكم بالإخراج إلى الدنيا، ثم كما تقدم

(1) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 328.

(2) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق ص 486.

(3) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 230.

(4) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط يناير 2000م، ج4، ص 289.

(5) البقرة: 28.

وقال ابن عباس وأبو صالح: كنتم أمواتاً بالموت المعهود ثم أحياكم للسؤال في القبور ثم أماتكم فيها ثم أحياكم للبعث، وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: كنتم أمواتاً بالخمول فأحياكم بأن ذكرتم وشرفتم بهذا الدين والنبي الذي جاءكم). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (والقول الأول أولى هذه الأقوال لأنه الذي لا محيد للكفار عن الإقرار به في أول ترتيبه ثم أن قوله أولاً (كنتم أمواتاً) وإسناده آخر الإماتة إليه تبارك وتعالى مما يقوى ذلك القول. وإذا أذعنت نفوس الكفار لكونهم أمواتاً معدومين ثم للإحياء في الدنيا ثم للإماتة فيها قوي عليهم لزوم الإحياء الآخر وجاء جحدهم له دعوى لا حجة عليها).[1]

في هذا النموذج ذكر ابن عطية رأي ابن عباس وابن مسعود ثم ذكر آراء المفسرين ثم رجح قول ابن عباس وابن مسعود وهذا دليل على عنايته بالمأثور عن الصحابة.

ومن النماذج أيضاً قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[2]. يقول ابن عطية: (وروي عن على بن أبي طالب والحسن بن أبي الحسن أن الآية نزلت مبينة حكم المذكورين ليدل ذلك على الفرق بينهم وبين أن يقتل حر عبداً أو عبد حراً أو ذكر أو أنثي ذكر وقالا إذا قتل رجل إمرأة فإن أراد أولياؤها قتلوا صاحبهم ووفوا أولياؤه نصف الدية منه، وإن أرادوا استحيوه وأخذوا منه دية المرأة. وإذا قتلت المرأة رجلاً فإن أراد أولياؤه قتلوا وأخذو نصف الدية وإلا أخذوا دية صاحبهم واستحيوها وإذا قتل الحر العبد فإن أراد سيد العبد قتل وأعطي دية الحر إلا قيمة العبد هذا مذكور عن على رضي الله عنه وعن الحسن وقد أنكر ذلك عنهما أيضاً)[3].

كذلك من النماذج التي فسر ابن عطية فيها بأقوال الصحابة قوله تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ}.[1]

يقول ابن عطية في تفسير قدم: (والقدم هنا ما قدم وأختلف بالمراد بها هنا فقال ابن عباس ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس هي الأعمال الصالحة من العبادات، وقال

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 221، 222.

(2) البقرة: 178.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج ص

(1) يونس: 2.

الحسن بن أبي الحسن وقتادة: هي شفاعة محمد β وقال زيد بن أسلم وغيره: هي المصيبة لمحمد β في موته وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ وهذا أليق الأقوال بالآية).[2]

أورد ابن عطية عدة آراء في تفسيره لمعنى (قدم) ولكنه مال إلى تفسير ابن عباس وهكذا نجد أن ابن عطية يعرض الآراء المختلفة ثم يرجح بينها.

ومن النماذج أيضاً قوله تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.[3] قال ابن عطية: (ومعنى الآية فيما روي عن ابن عباس وغيره كلما سمع المنافقون القرآن وظهرت لهم الحجج أنسوا ومشوا معه فإذا نزل من القرآن ما يعمون فيه ويضلون به أو يكلفونه قاموا أي ثبتوا على نفاقهم).[4]

ومن هنا نلاحظ أن ابن عطية في عنايته بالمأثور عن الصحابة يذكر رأيه في معنى الآية ثم يعضده بقول الصحابي أحياناً، وأحياناً أخرى يشرح الآية بقول الصحابي مباشرة كما لاحظنا في النموذج السابق (ومعنى الآية فيما روى عن ابن عباس).

ومن النماذج أيضاً تفسيره لقوله تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.[5]

يقول ابن عطية: (أمر الله تعالى في هذه الآية أهل التِجر والوزن أن يعطوا الحق في كيلهم ووزنهم، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقف في السوق ويقول يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين بهما إهلاك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان).[1] فسر ابن عطية هذه الآية ثم عضدها بقول ابن عباس رضي الله عنه.

كذلك من النماذج قوله عز وجل: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ}.[2]

يقول ابن عطية: (وقوله تعالى رسلنا يريد به على ما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما وجميع أهل التأويل ملائكة مقترنين بملك الموت يعاونونه ويأتمرون له).[3] في

---

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج7، ص 97.

(3) البقرة: 20.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 195.

(5) الإسراء: 35.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج9، ص 80، 81.

(2) الأنعام: 61.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج5، ص 226.

هذا النموذج فسر ابن عطية رسلنا بقول ابن عباس مباشرة وهي إحدى طرقه في الأخذ بالمأثور عن الصحابة.

ومن النماذج أيضاً قوله تبارك وتعالى في سورة عبس {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ}.[4] يقول ابن عطية: (واختلف الناس في السفرة فقال ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة لأنهم كتبه يقال سفرت أي كتبت ومنه السفر، وقال ابن عباس أيضاً رضي الله عنهما: الملائكة سفرة لأنهم يسفرون بين الله تعالى وأنبيائه، وقال قتادة: هم القراء وواحد السفرة سافر؛ وقال وهب بن منبه: هم الصحابة لأن بعضهم يسفر إلى بعض في الخير والتعليم والتعلم والقول الأول أرجح).[5] وهكذا ابن عطية في بعض الأحيان يذكر الآراء ويرجح قول الصحابي دون أن يعلل كما في النموذج السابق.

ومن النماذج التي توضح عناية ابن عطية بالمأثور عن الصحابة رضي الله عنهم قوله عز وجل {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ}.[6]

يقول ابن عطية: (ثم أخبر تعالى أنها عليهم مؤصدة ومعناها مطبقة أو مغلقة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبواب النار بعضها فوق بعض).[7]

وفي هذا النموذج فسر ابن عطية الآية ثم عضده بقول الصحابي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهكذا ابن عطية أحياناً يأخذ رأي الصحابي وأحياناً أخرى يذكر رأيه ثم يعضده ويدعمه بقول الصحابي.

ومن النماذج أيضاً قوله تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً}.[1] يقول ابن عطية: (والضبح تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح، بل هو غير المعتاد من صوت الحيوان الذي يضبح، وحكى ابن عباس رضي الله عنهما أنه ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب والبوم والصدى والأرنب والثعلب والفرس هذه كلها قد استعملت العرب لها الضبح أنشد أبو حنيفة في صفة القوس.

حنانة من نشم أو تألب ** تضبح في الكف ضباح الثعلب

(4) عبس: 15.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج15، ص 320.

(6) الهمزة: 8.

(7) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج15، ص 568.

(1) العاديات، 1.

والظاهر في الآية أنه أقسم بالخيل والإبل أو بهما).[2] في النموذج السابق ذكر ابن عطية رأيه في تفسير الضبح ثم أورد رأي ابن عباس في الحيوان الذي يضبح ثم اعترض عليه فهو أحياناً يورد رأى الصحابي ثم يعترض عليه أو يخالفه.

ومن النماذج التي توضح تفسير ابن عطية بالمأثور عن الصحابة رضي الله عنهم قوله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}.[3]

يقول ابن عطية: (قال أنس وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وجماعة من الصحابة والتابعين: الكوثر نهر في الجنة حافتاه قباب در مجوف وطينه مسك وحصباؤه ياقوت ونحو هذا من صفاته وإن اختلفت ألفاظ الرواة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما الكوثر الخير الكثير). قال القاضي أبو محمد: (كوثر بناء مبالغة من الكثرة ولا محالة أن الذي أعطى الله تعالى محمداً β من النبوة والحكمة والعلم بربه تعالى والفوز برضوانه والشرف على عباده هو أكثر الأشياء وأعظمها فكأنه يقال في هذا الآية إنا أعطيناك الحظ الأعظم. قال سعيد بن جبير: النهر الذي في الجنة هو من الخير الذي أعطاه الله إياه فنعم ما ذهب إليه ابن عباس ونعم ما تمم ابن جبير رضي الله عنهما).[4]

في هذا النموذج ذكر ابن عطية قول الصحابة رضي الله عنهم ثم بين رأيه ثم أثنى على رأي ابن عباس رضي الله عنه فابن عطية يفسر أحياناً بقول الصحابي مباشرة وأحياناً أخرى يذكر رأيه ثم يثني على آرائهم.

نلاحظ أن نقل ابن عطية عن السلف لم يكن طريقه الوحيد في التفسير، ومن أجل ذلك فإن تفسيره ليس خاصاً بالمأثور بل جمع فيه التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والاجتهاد ولكن الغالب كما لاحظنا عنايته بالمأثور. وفي المبحث القادم نتحدث عن تفسير ابن عطية للقرآن بأقوال التابعين.

ثانياً: تفسير القرآن بأقوال التابعين عند ابن عطية:

اعتمد التابعون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رووه عن الصحابة أنفسهم، أو على ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى، وقد روت لنا كتب التفسير كثيراً

---

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج15، ص 545.

(3) الكوثر، 1.

[4] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج15 ص545.

من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير قالوها بطريق الرأي والاجتهاد، ولم يصل إلى علمهم شيء فيها عن رسول الله β أو عن أحد من الصحابة. وقد قلنا فيما سبق أن ما نقل عن رسول الله β وعن الصحابة من التفسير لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسروا ما غمض فهمه على معاصريهم ثم تزايد هذا الغموض على تدرج كلما بعد الناس عن عصر النبي β والصحابة فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض النقص فزادو في التفسير بمقدار ما زاد من لغة العرب ومناحيهم في القول وعلى ما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في عصر نزول القرآن وغير هذا من أدوات الفهم ووسائل البحث.[1]

والمتتبع لتفسير ابن عطية يجد أنه بجانب عنايته بالمأثور من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة أولى عنايته للإخذ بأقوال التابعين، والنماذج في ذلك كثيرة منها قوله تبارك وتعالى: {قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ}.[2]

يقول ابن عطية في تفسير العشي والإبكار: (وقال مجاهد في تفسير الإبكار أول الفجر والعشي ميل الشمس حتى تغيب).[3] في هذه الآية فسر ابن عطية بقول التابعي مباشرة دون أن يذكر رأيه أو يعقِب على تفسير التابعي.

كذلك من النماذج قوله تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ}.[1] يقول ابن عطية: (واختلف الناس في تعيين هذا الشغل فقال ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب افتضاض[2] الأبكار. وحكي النقاش عن ابن عباس رضي الله عنهما سماع الأوتار وقال مجاهد معناه نعيم قد شغلهم وهذا هو القول الصحيح).[3] في بعض الأحيان يذكر ابن عطية الآراء ثم يرجح، وفي هذا النموذج ذكر أقوال الصحابة ورجح قول التابعي فهو يفسر بقول التابعين أحياناً وأحياناً أخرى يذكر الآراء ثم يرجح قوله كما في النموذج السابق.

---

[1] الذهبي ، التفسير والمفسرون، مرجع سابق ، ج1 ص11

[2] آل عمران ، 41

[3] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق، ج3 ص112.

[1] يس ، 55.

[2] إقتضاض من فضة ختم الكتاب، وفي الحديث لا يفضض الله فاك، إنفض الشئ انكسر وفض القوم فانفضوا أي تفرقوا، مختار الصحاح ، الرازي ، ص212.

[3] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق، ج12 ص312.

ومن النماذج التي توضح عناية ابن عطية بالمأثور عن التابعين قوله في تفسير قوله عز وجل {مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء}.[4]

يقول ابن عطية: (المهطع المسرع في مشيته، قال ابن جبير وقتادة: وذلك بذلة واستكانة كإسراع الأسير الخائف ونحوه وهذا هو أرجح الأقوال).[5]

في هذا النموذج أورد ابن عطية قول ابن جبير وقتادة وقال عنه هو أرجح الأقوال.

ومن النماذج أيضاً تفسيره لقوله تبارك وتعالى: {وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ}.[6]

يقول ابن عطية: (روي عن سعيد بن جبير في تفسير ذلك أن الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول أين أبي أين أمي أين زوجتي فيلحقون به لصالحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه إياهم وهذه دعوة الملائكة).[7]

في هذه الآية نجد أن ابن عطية قد فسر بقول التابعي مباشرة وهذا هو منهجه الذي اتبعه في عنايته بالتفسير من أقوال التابعين.

ومن النماذج أيضاً تفسيره لقوله تعالى: {لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}.[8]

يقول ابن عطية: (روي أن الله تعالى يقرر هذا التقرير ويسكن العالم هيبة وجزعاً فيجيب هو نفسه { لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} قال الحسن هو تعالى السائل والمجيب وقال ابن مسعود إنه تعالى يقرر فيجيب بنفسه وقيل ينادي بالتقرير ملك فيجيب الناس).[1]

في هذا النموذج ذكر ابن عطية قول التابعي دون أن يعلق عليه. ومن النماذج أيضاً قوله تعالى: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}.[2]

يقول ابن عطية: (والطاغية قال قتادة معناها الصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة وقال قوم المراد بسبب الفئة الطاغية وقال آخرون منهم مجاهد وابن زيد المعنى بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها وقال ابن زيد ما معناه الطاغية مصدر كالعاقبة فكأنه تعالى قال بطغيانهم. وقال أبو عبيدة: ويقوي هذا قوله تعالى {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}.[3] وأولى الأقوال وأصوبها الأول لأنه مناسب لما ذكر في عاد إذ ذكر فيه الوجه الذي وقع

---

[4] إبراهيم ، 43.
[5] ابن عطية ، المحرر الوجيز، مصدر سابق ، ج6 ص225.
[6] غافر ، 8.
[7] ابن عطية ، المحرر الوجيز، مصدر سابق ، ج13 ص12.
[8] غافر، 16
[1] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج13 ص20.
[2] الحاقة ، 5.
[3] الشمس ، 11.

به الهلاك وعلى سائر الأقوال لا يتناسب الأمران لأن طغيان ثمود سبب والريح لا تناسب ذلك لأنها ليست بسبب الإهلاك بل آلته كما هي الصيحة).[4]

نلاحظ أن ابن عطية أورد الآراء ثم رجح القول الأول وهو قول قتادة وهكذا ابن عطية يذكر الآراء ثم يرجح قول التابعين.

ومن النماذج أيضاً قوله عز وجل {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ}.[5] يقول ابن عطية: قال قتادة والضحاك وقوم: الحق المعلوم هو الزكاة المفروضة، وقال ابن عباس والحسن ومجاهد: هذه الآية في الحقوق التي سوى الزكاة وهي ما ندبت الشريعة إليه في المواساة، وقد قال ابن عمر والثعلبي ومجاهد وكثير من أهل العلم إن في المال حق سوى الزكاة). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وهذا هو أصح الأقوال في هذه الآية لأن السورة مكية وبيانها إنما كان بالمدينة).[6] نلاحظ أن ابن عطية أحياناً يعرض آراء التابعين ثم يبين رأيه ويرجح.

كذلك من النماذج قوله تعالى: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ}.[7] يقول ابن عطية: (ثم أخبر تعالى بضعف الناس يومئذ، وأنه لا يغني بعضهم عن بعض، وأن الأمر له تبارك وتعالى. قال قتادة: كذلك هو اليوم والله تعالى هناك لا ينازعه أحد ولا يمكن أحداً من شيء كما مكنه في الدنيا).[1] فسر ابن عطية في هذا النموذج قول الله تعالى ثم ذكر رأي قتادة دون تعقيب.

ومن النماذج أيضاً قوله تعالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}.[2] يقول ابن عطية أُختِلِف في قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين قال عكرمة وقتادة والضحاك والنخعي معناه بالهرم وذهول العقل وتقلب الكبر حتى يصير لا يعلم شيئاً إما أن المؤمن مرفوع عنه القلم والاستثناء على هذا منقطع وهذا قول وليس المعنى أن كل إنسان يعتريه هذا بل في الجنس من يعتريه ذلك وهذه عبر منصوبة.[3]

في هذا النموذج أثنى ابن عطية على رأي التابعين في الآية ثم علل لذلك وهذه النماذج التي ذكرت توضح لنا اتجاه ابن عطية النقلي في تفسير آيات كتاب الله، فمصادره الكتاب وأقوال الصحابة والتابعين، ويلاحظ في عنايته بالتفسير بأقوال التابعين

---

[4] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ،ج15 ص60- 61.
[5] المعارج ، 24.
[6] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق، ج15 ص99.
[7] الانفطار ، 19.
[1] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق، ج15 ص350.
[2] التين ، 5.
[3] ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج15 ص504.

أنه يفسر أحياناً بقول التابعي مباشرة وأحياناً أخرى يعرض آراءهم ثم يرجح بعد ذلك وهذا يوضح لنا أن تفسير ابن عطية لا يخلو من وضوح شخصيته.

المبحث الثالث
موقف ابن عطية من الإسرائيليات

الإسرائيليات جمع إسرائيلية نسبة إلى بني إسرائيل وفي اللغة إسرائيل اسم غير هو مضاف إلى إيل، قال الأخفش وهو يهمز ولا يهمز ويقال إسراءين كما يقال جبرين وإسماعين.[1]

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه إلا أننا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل فنريد ما يعم اللون اليهودي والنصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية. وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ الإسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم وشدة اختلاطهم بالمسلمين. [2]

لقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله أثر سيء في التفسير. وذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة بل زادوا على ذلك فردوا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً بل ودخل هذا النوع من التفسير في كثير من القصص الخيالي المخترع مما يجعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها لاعتقاده أن الكل من واد واحد. وفي الحق أن المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح. وكما أن نسبة هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شيء منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة.[3]

تنقسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام؛ احدهما: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح، والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.[4]

---

(1) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق ص 125.

(2) الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق ج1، ص 176.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص 189.

(4) ابن تيمية ، مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية، مقدمة التفسير ، مصدر سابق ، ج13 ص366.

وحكم الأخذ بالإسرائيليات الجواز للرواية التي يصدقها الشارع مما يشهد له بالصحة والرد لما يكذبه الشارع لمخالفته ما عندنا وجواز رواية ما سكت عنه.[1]

وقد اعتمد أهل التفسير في حكاية أقاويل أهل الكتاب على قول الرسول β الذي أباح به ذلك حين قال: بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.[2] ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك. كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى: { سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً}.[3]

يقول ابن عطية في مقدمة تفسيره: (لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به).[4] ومن قوله يتضح لنا تقليله من ذكر الروايات في تفسيره، ونجده قد تناول كثيراً من هذه الروايات بالنقد والتمحيص، ومن ذلك قصة هاروت وماروت في قوله تعالى: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ}.[5] أورد ابن عطية ما قاله بعض المفسرين في هاروت وماروت قال: (وروى من قال أنهما ملكان أن الملائكة مقتت حكام بني آدم وزعمت أنها لو كانت بمثابتهم من البعد عن الله لأطاعت حق الطاعة فقال الله لهم اختاروا ملكين يحكمان بين الناس فاختاروا هاروت وماروت فكانا يحكمان فاختصمت إليهما امرأة ففتنا بها فراوداها فأبت حتى يشربا الخمر ويقتلا ففعلا وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان به السماء فعلماها فتكلمت به فعرجت فمسخت كوكباً فهي الزهرة وكان ابن عمر يلعنها). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وهذا ضعيف وبعيد على ابن عمر رضي الله عنهما وروي أن الزهرة نزلت إليهما في صورة امرأة من فارس فجرى لهما ما ذكر فاطلع الله الملائكة على ما كان من هاروت

---

(1) ابن تيمية ، مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، مصدر سابق، ج 13 ص 367.
(2) أخرجه أحمد في مسنده رقم 2675 باب القرآن والسنة والعلم، احمد بن حنبل ، المسند ، دار المعارف مصر،ط4 ص2672.
(3) مجموع فتاوي ابن تيمية ، مصدر سابق، ج13 ص367 ، الآية الكهف 22.
(4) ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج1 ص11.
(5) البقرة ، 102.

وماروت فتعجبوا وبقيا في الأرض لأنهما خُيرا بين عذاب الآخرة وعذاب الدنيا فهما في سرب من الأرض معلقين يصفقان بأجنحتهما. وروت طائفة أنهما يعلمان السحر في موضعهما ذلك وأخذ عليهما ألا يعلمان أحد حتى يقولا له إنما نحن فتنة فلا تكفر، وهذه القصص يزيد في بعض الروايات وينقص في بعض ولا يقطع منه شيء فلذلك اختصرته).[1]

وهكذا منهجه في تفسيره الذي سماه المحرر الوجيز فهو دائماً يميل إلى الاختصار.

كذلك يقول ابن عطية في إتيان التابوت في قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.[2] واختلف المفسرون في كيفية إتيان التابوت، وكيف كان بدء أمره، فقال وهب بن منبه: كان التابوت عند بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت وصار التابوت عند القوم الذين غَلبوا فوضعوه في كنيسة لهم فيها أصنام فكانت الأصنام تصبح منكسة فجعلوه في قرية فأصاب القوم أوجاع في أعناقهم وقيل جعل في مخراه قوم فكان يصيبهم الناسور فلما عظم بلاؤهم قالوا ما هذا إلا لهذا التابوت فلنرده إلى بلاد بني إسرائيل فأخذوا عجلة فجعلوا التابوت عليها وربطوها ببقرتين فأرسلوها في الأرض نحو بلاد بني إسرائيل فبعث الله ملائكته تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني إسرائيل وهم في أمر طالوت فأيقنوا بالنصر وهذا هو حمل الملائكة للتابوت في هذه الرواية. وقال قتادة والربيع: بل كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع بن نون، فجعله يوشع في البرية. ومرت عليه الدهور حتى جاء وقت طالوت، وكان أمر التابوت مشهوداً عندهم في تركه موسى فجعل الله الإتيان به آية لملك طالوت، وبعث الله ملائكة حملته إلى بني إسرائيل فيروى أنهم رأوا التابوت في الهواء يأتي حتى نزل بينهم، وروي أن الملائكة جاءت به تحمله حتى جعلته في دار طالوت فاستوثقت بنو إسرائيل عند ذلك على طالوت. قال وهب بن منبه: (كان قدر التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين). قال القاضي أبو محمد

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 420، 421.

(2) البقرة: 248.

رحمه الله: (وأكثر الرواة من قصص التابوت وصورة حمله بما لم أر لإثباته وجهاً ليبين إسناده).[1]

نلاحظ أنه بالرغم من اختصار ابن عطية للقصص الإسرائيلية إلا أنه لم يستطع التخلص منها، ولعله قد تأثر بالطابع العام الذي طغي على كتب التفسير في عصره.

كذلك من النماذج في المحرر الوجيز قوله تعالى: {انظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ}.[2]

يقول ابن عطية: (وأما قوله تعالى وانظر إلى حمارك فقال وهب بن منبه وغيره المعنى وانظر إلى اتصال عظامه وإحيائه جزءاً. ويروى أنه أحياه الله حتى صار عظاماً ملتئمة ثم كساه لحماً حتى كمل حماراً ثم جاء ملك فنفخ في أنفه الروح فقام الحمار ينهق. وروي عن الضحاك ووهب بن منبه أيضاً أنهما قالا بل قيل له وانظر إلى حمارك قائماً في مربطه لم يصبه شيء مائة سنة قالا إنما العظام التي نظر إليها عظام نفسه قالا وأعمي الله العيون عن أرمياء وحماره هذه المدة). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وأكثر أهل القصص في صورة هذه النازلة اختصرته لعدم صحته).[3]

ومن الأمثلة تفسير ابن عطية لقوله تعالى: {مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ}.[4] يقول ابن عطية: (فإنها محاورة وإنما تقال لمن أدى الرسالة من الله والآخر محتمل وذكر النقاش في قصص هذه الآية شيئاً يطول وصحته غير متيقنة فاختصرته. واللازم من الآية أن الله بعث إليها رسولين فدعوا أهل القرية إلى عبادة الله وحده، وإلى الهدى والإيمان فكذبوهما فشدد الله أمرهما بثالث وقامت الحجة على أهل القرية وآمن منهم الرجل الذي جاء يسعى وقتلوه في آخر أمره وكفروا فأصابتهم صيحة من السماء فخمدوا).[5]

أحياناً نجد أن ابن عطية يشير إلى أن بعض المفسرين ينقل هذه القصص وهو لم يذكرها لعدم صحتها كما في المثال السابق.

كذلك من النماذج التي تبين منهج ابن عطية في قصص القرآن تفسيره لقوله تعالى: { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 359، 360.

(2) البقرة: 259.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 410.

(4) يس: 15.

(5) ابن عطية ، المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج12 ص282.

رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}.[1] يقول ابن عطية: (أن نمرود جبار في ذلك الزمن رأى منجموه أن مولوداً يولد في سنة كذا في عمله يكون خراب الملك على يديه فجعل يتتبع الحبالى ويوكل بهن حراساً فمن وضعت أنثي تركت ومن وضعت ذكراً حمل إلى الملك فذبحه وإن أم إبراهيم حملت وكانت شابة قوية فسترت حملها فلما قربت ولادتها بعثت تأريخ ابا إبراهيم إلى سفر وتحيات لمضيها إليه ثم خرجت هي إلى غار فولدت فيه إبراهيم وتركته في الغار وقد هيأت إليه وكانت تفقده فتجده يتغذى بأن يمص أصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحوهما وحكي بل كان يغذوه ملك وحكى بل كانت تأتيه بألبان النساء اللائي ذبح أبناؤهن فشب إبراهيم أضعاف ما يشب غيره والملك في خلال ذلك يحس بولادته ويشدد في طلبه فمكث في الغار عشرة أعوام وقيل خمس عشرة سنة وأنه نظر أول ما عقد من الغار فرأى الكوكب وجرت قصة الآية). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وجلبت هذه القصة بغاية الاختصار في اللفظ وقصدت استيفاء المعاني التي تخص الآية ويضعف عندي أن تكون هذه القصص في الغار لقوله تعالى في آخرها {إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}.[2] وهي ألفاظ تقتضي محاجة ورداً على قوم وحاله في الغار بعيدة عن مثل هذا اللهم إلا أن يتأول في ذلك أنه قالها بينه وبين نفسه أي قال في نفسه معنى العبارة عنه {يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}).[3]

وهذا هو المذهب الذي التزمه ابن عطية في تفسيره إزاء القصص، وقد نبهنا إلى ذلك في مقدمته بقوله: لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به وقد لاحظنا في النموذج السابق ظهور شخصيته ومع ذلك فإن ابن عطية كان كثيراً ما ينبه على عدم صحة هذه القصص فهو منهج جيد سلكه ابن كثير. فإن ابن كثير كان ينبه على أن هذه القصص من وضع اليهود والنصارى، وأحياناً يقول هذا مما ليس له أصل في القرآن والسنة ونحوه.

وخلاصة موقف ابن عطية من الأخذ بهذا القصص الإسرائيلي تتلخص في عدم إكثاره من هذه القصص في تفسيره واختصاره لعدم صحتها وإن كان قد ذكر جانباً منها دون تعقيب عليها فلعله تأثر بما طغى من كتب التفسير السابقة.

---

[1] الانعام ، 76- 77.
[2] الانعام ، 78.
[3] ابن عطية المحرر الوجيز ، مصدر سابق ، ج5 ص259 – 260.

المبحث الرابع
اتجاه ابن عطية في تفسيره إلى اللغة والنحو

تعتبر اللغة باباً واسعاً من أبواب التفسير ومصدراً مهماً من مصادره يقول ابن خلدون: (إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه ومفرداته وتراكيبه).[1]

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إلى اللغة كثيراً في فهم معاني التنزيل وبيان آياته فهذا هو عمر بن الخطاب يقول يا أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم.[2]

وقد كان للشعر عظيم القدر عند العرب، والدليل على ذلك أنه لما بعث النبي β بالقرآن المعجز نظمه المحكم تأليفه وأعجب قريشاً ما سمعوا منه قالوا ما هذا إلا سحر، وقالوا في النبي β شاعر نتربص به ريب المنون.[3] وقد كان حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس كثير الرجوع إلى الشعر لبيان معاني ألفاظ القرآن، قال ابن عباس: الشعر ديوان العرب. فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه.[4] ومسائل نافع ابن الأزرق معروفة في هذا الجانب.

أقام ابن عطية تفسيره على أساس من اللغة والنحو في بيان معاني المفردات، وإعراب الكلمات، وتصريف المشتقات، فعني عناية تامة بتحديد معنى الكلمات وشرح مدلولات المفردات لذلك نجده يقول في مقدمة تفسيره: (وقصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر[5] كما في كثير من كتب المفسرين).[6] ويكثر من ذكر الوجوه الإعرابية في الآية وبيان المذاهب النحوية كما يرجح بعض الآراء النحوية ويرد على الآراء الضعيفة.

والنماذج كثيرة منها كلامه حول اشتقاق لفظ الملائكة عند تفسيره الآية {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق ص 486.

(2) ابو اسحق إبراهيم الشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام، دار الفكر بيروت، ب، ت، ط، ج1، ص 26.

(3) أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ، 1983م، ج6، ص 123.

(4) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مصدر سابق ج1، ص 432.

(5) طفر، وثب وبابه جلس، الرازي، مختار الصحاح، مصدر سابق ص 165.

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 11.

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.[1] يقول ابن عطية: (والملائكة واحدها ملك، أصله مألك على وزن مفْعل من لأك إذا أرسل، وجمعه ملائكة على وزن مفاعلة، وقال قوم: أصل ملك مالك من لأك إذا أرسل ومنه قول عدي بن زيد:

أبلغ النعمان عني مألكاً ** أنه قد طال حبسي وانتظاري

واللغتان مسموعتان لأك وألك قلبت فيه الهمزة بعد اللام فجاء وزنه مفْعل، وجمعه ملائكة، ووزنه مفَاعِلة، وقال ابن كيسان: هو من مألك يملك والهمزة فيه زائدة كما زيدت في شَمأل من شمل فوزنه فَعأل، ووزن جمع فَعائله، وقد يأتي في الشعر على أصله كما قال:

فلستَ لإنسى ولكن لملأك ** تنزل من جو السماء يصوب

وأما في الكلام فسهلت الهمزة وألقيت حركتها على اللام أو على العين في قول ابن كيسان فقيل ملك، والهاء في ملائكة لتأنيث الجموع غير حقيقي، وقيل هي للمبالغة كعلامة ونسابه، والأول أبين. وقال أبو عبيدة: الهمزة في ملائكة مجتلبه لأن واحدها ملك. وقال القاضي أبو محمد رحمه الله: (فهذا الذي نحا إليه ابن كيسان). [2]

ومن النماذج التي ذكر فيها ابن عطية مذاهب النحاة البصرين والكوفيين إعراب كلمة بسم في قوله تعالى: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}.[3] يقول ابن عطية: (والباء في بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتدائي مستقر أو ثابت بسم الله، وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره ابتدأت بسم الله فبسم الله في موضع رفع على مذهب البصريين وفي موضع نصب على مذهب الكوفيين. كذا أطلق القول قوم، والظاهر من مذهب سيبويه أن الباء متعلقة بثابت أو مستقر بمنزلة في الدار من قولك زيد في الدار وكسرت باء الجر ليناسب لفظها عملها أو لكونها لا تدخل إلا على الأسماء فخصت بالخفض الذي لا يكون إلا في الأسماء وليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف أسماء نحو الكاف في قول الأعشى:-

انْتَهَون ولا يَنْهى ذوي شططٍ ** كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

---

(1) البقرة: 30.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 226.

(3) الفاتحة: 1.

وحذفت الألف في بسم الله من الخط اختصاراً وتخفيفاً لكثرة الاستعمال. وأختلف النحاة إذا كتب باسم الرحمن وباسم القاهر فقال الكسائي وسعيد الأخفش بحذف الألف، وقال يحيى بن زياد لا تحذف إلا مع بسم الله لأن الاستعمال إنما كثر فيه. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (أما في غير بسم الله فلا خلاف في ثبوت الألف).[1]

واسم أصله سِمو بكسر السين أو سمو بضمها، وهو عند البصريين مشتق من السمو يقال اسماً يسموا فعلى هذا تضم السين في قولك سمو ويقال سما يسمو فعلى هذا انكسر وحذفت الواو من سمو وكسرت السين من سم كما قال الشاعر:

بسم الذي في سورة سمه ** قد وردت عن طريق تَعْلَمُه

وسكنت في بسم اعتلالاً على غير قياس، وإنما استدل على هذا الأصل الذي ذكرناه بقولهم في التصغير سمي وفي الجمع أسماء وفي جمع الجمع أسامي. وقال الكوفيون: (أصل اسم أو اسم من السمة وهي العلامة لأن الأسم علامة لمن وضع له أو حذفت فأوه اعتلالاً على غير قياس والتصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي وأما المعنى فيه فجيد لو لا يلزمهم من أن يقال في التصغير وسم وفي الجمع أوسام لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها).[2]

ومن النماذج يتضح لنا أن ابن عطية في موقفه من اللغة والنحو لم يكن مجرد ناقل لآراء النحاة واللغويين ولكن كثيراً ما تظهر شخصيته الناقلة المحللة لهذه الآراء التي يحيط بها النص القرآني في تفسيره إياه، ولا يقر منها إلا ما كان على أسس قوية لا يبعد به عن وجه الصواب واهتمامه باللغة والنحو لا شك أنهما اللبنة الأولى في بناء صرح بناء تفسيره للقرآن الكريم.

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 84.

[2] المصدر نفسه، ج1 ص85.

المبحث الخامس
موقف ابن عطية من القراءات

علم القراءات من أشرف العلوم الشرعية لارتباطه بكتاب الله تعالى من حيث ضبط الرسم حروفاً وكتابة وتشكيلاً ونقطاً، وتدبر المعاني فهماً وتذوقاً وعملاً وتطبيقاً. تعريفه: هو علم يعرف به كيفية أداء كلمات القرآن وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله. موضوعه: كلمات الكتاب العزيز من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها. ثمرته وفائدته: صيانته من التحريف والتغيير مع ما فيه من فوائد كثيرة عليها الأحكام تبنى، ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط.[1]

يقول ابن خلدون: (القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله β على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوقل ذلك وأشتهر إلى أن استقرت سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضاً بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر برواتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات أُخر لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها).[2]

والسبب في تعدد القراءات أنه لم يكن كتبة الوحي الذي كان النبي β يملي عليهم كلما أوحى إليه شيء من قبيلة واحدة بل كانوا من قبائل عدة فيهم القرشي وغيره وكان الناس على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم في سعة من أمرهم في قراءة القرآن كل يقرؤه بلحن قومه حتى إذا آنس أحدهم اختلافاً في قراءة سمعها من إنسان عما أقراه الرسول هرع إليه شاكياً فسمع الرسول من كل قراءته فأقره عليها قائلاً هكذا نزلت، وكان التغيير لا يعدو تنوع أداء أحياناً من حيث الإمالة والترقيق لبعض الحروف والتفخيم أو ضبط المضارع تخفيفاً أو تشديداً وتغاير لفظين والمعنى واحد إلى آخر ما أحصوا من أحوال أطلقوا عليها خلافاً وما هي بخلاف إذ لم تكن تؤدي إلى بعض معنى أو تغيير

(1) محمد فهد فاروق، الميسر في القراءات الأربعة عشر، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ط1، 1416هـ، 1995م، ص 7.
(2) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق ص 485.

حكم، وكلها مسندة إسناداً صحيحاً إلى رسول الله. تعدد سامعوا منه وعرفوا من أمر هذه الرخصة ما لم يكونوا على علم واندرجت هذه الوجوه الكثيرة في القراءة في تعبير الأحرف السبعة الواردة في الحديث أريد بها التعدد والكثرة لا تحديد سبعة.[1]

اهتم ابن عطية بالقراءات الصحيحة منها والشاذة في تفسيره باعتباره مصدراً من مصادر التفسير، وباباً واسعاً من أبوابه، وبين ما تحمله هذه القراءات من معاني. قال في مقدمة تفسيره: (وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها واعتمدت تبين المعاني وجميع محتملات الألفاظ).[2] وكان له نظرات صادقة وآراء سديدة وجهود موفقة كما ينتقد الوجوه الضعيفة التي ذكرها بعض العلماء، ومن الأمثلة التي توضح اهتمام ابن عطية بالقراءات قوله في قوله تعالى: {وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا}.[3]

يقول ابن عطية: (وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو نُنْشرها بضم النون الأولى والراء وقرأ عاصم وابن عمر وحمزة والكسائي نُنْشزها بالزاي وروى ابان عن عاصم نَنْشُرها بفتح النون الأولى وضم الشين وبالراء وقرأها كذلك الحسن وابن عباس وأبو حيوة فمن قرأ نُنْشُزها بضم النون الأولى وبالراء معناها نحييها يقال أنشر الله الموتى قال تعالى: {ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ}.[4] وقال الأعشى:

يا عجباً للميت الناشر

وقراءة عاصم نَنشُزها بفتح النون الأولى وضم الشين يحتمل أن يكون لغة في الإحياء يقال نَشُرت الميت وأنشرته فيجيء نشر الميت ونشرته كما يقال حسرت الدابة وحسرتها وغاص الماء وغصته ورجع زيد ورجعته، ويحتمل أن يراد ضد الطي كأن الموت طئ للعظام والأعضاء وكأن الإحياء وجمع بعضها إلى بعض نشر. وأما من قرأ نُنْشِزها بالزاي فمعناه نرفعها والنشز المرتفع من الأرض ومنه قول الشاعر:

**ترى الثعلب الحولي فيها كأنه ** إذا ما علا نشزاً حصان مخلل

قال أبو علي وغيره فتقديره ننشزها برفع بعضها إلى بعض للأحياء ومنها نشوز المرأة قال الأعشى:

قضاعية تأتي الكواهن ناشز

---

(1) أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، حجة القراءات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ، 1997م، ص 8، 9.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج1، ص 11.

(3) البقرة: 259.

(4) عبس: 22.

يقال نشز وأنشزته. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (ويقل عندي أن يكون معنى النشوز رفع العظام وإنما النشوز الارتفاع قليلاً قليلاً فكأنه وقف على نبات العظام الرفات وخروج ما يوجد منها عند الاختراع وقال النقاش: ننشزها معناه ننبتها وانظر استعمال العرب تجده على ما ذكرت لك من ذلك نشز ناب البعير والنشز من الأرض على التشبه بذلك ونشزت المرأة كأنها فارقت الحال الذي ينبغي أن تكون عليه).[1]

وأنت تلاحظ أنه في هذا النموذج لا يورد القراءة فقط بل ينزلها منزلتها من التفسير.

كذلك من النماذج قال تعالى: {قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا}.[2] يقول ابن عطية: (قرأ ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد يخافون بضم الياء، وقرأ الجمهور يخافون بفتح الياء، وقال أكثر المفسرين الرجلان يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وكالب بن يوقنا، ويقال فيه كلاب، ويقال كالوت بياء مثلثه، ويقال في اسم أبيه قافياً، وهو صهر موسي على أخته. قال الطبري اسم زوجته مريم بنت مران ومعنى يخافون أي الله والله أنعم عليهما بالإيمان الصحيح وربط الجأش والثبوت في الحق. وقال قوم: المعنى يخافون العدو ولكن الله أنعم عليهما بالإيمان والثبوت مع خوفهما. ويقوى عندى التأويل الأول أن قراءة ابن مسعود قال رجلان من الذي يخافون الله أنعم عليهما وأما من قرأ بضم الياء فلقراءته ثلاثة معاني أحدهما: ما روى من أن الرجلين كانا من الجبارين آمنا بموسى واتبعاه فكان من القوم الذين يخافون لكن أنعم عليهما بالإيمان لموسى فقالا نحن أعلم بقومنا. والمعنى الثاني: أنهما يوشع وثالوث لكنهما من الذين يوقرون، ويسمع كلامهم ويهابون لتقويمهم فضلهم فهم يخافون بها. والمعنى الثالث: أن يكون الفعل من أخاف والمعنى من الذين يخافون بأوامر الله ونواهيه وزجره ويكون ذلك مدحاً لهم على نحو المدح في قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى}.[3] وقوله تعالى: {يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا} صفة الرجلين).[4] في هذا النموذج ذكر ابن عطية القراءة، وبين ما تحمله من معاني، ورجح قول الجمهور بقوله: يقوى عندي التأويل الأول أن قراءة ابن مسعود قال رجلان من الذين يخافون الله أنعم عليهما.

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 413.

(2) المائدة: 23.

(3) الحجرات: 3.

(4) ابن عطية: المحرر الوجيز، مصدر سابق ج4، ص 402.

كذلك من النماذج قوله تعالى: {ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}.[1] يقول ابن عطية: (في يضاهئون قراءة الجماعة، ومعناه يحاكون ويبارون ويماثلون، وقرأ عاصم وحده من السبعة وطلحة بن مصرف يضاهون بالهمز على أنه من ضاه وهي لغة ثقيف بمعنى ضاهى. قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (ومن قال إن هذا مأخوذ من قولهم امرأة ضهياء، وهي التي لا تحيض. وقيل التي لا ثدي لها سميت بذلك لشبهها بالرجال، فقوله خطأ قاله أبو علي لأن الهمزة في ضاها أصليه وفي ضهياء زائدة كحمراء إن كان الضمير في يضهئون لليهود والنصارى جميعاً فالإشارة بقوله الذين كفروا من قبل هي أما لمشركي العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله وهم أول كافر وهو قول الضحاك وإما لأمم سالفة قبلها. وإما للصدر الأول من كفرة اليهود والنصارى، ويكون يضهون لمعاصري محمد β. وإن كان الضمير في يضاهون للنصارى فقط كانت الإشارة بالذين كفروا من قبل إلى اليهود، وعلى هذا فسر الطبري وحكاه الزهراوي عن قتادة).[2] في هذا النموذج رجح ابن عطية قراءة الجمهور، وانتقد القراءة الضعيفة. هكذا ابن عطية يعرض القراءات ويرجح القراءة الصحيحة.

كذلك من الأمثلة قوله تعالى: {وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}.[3] يقول ابن عطية: (لقوا أصلها لقيوا استثقلت الضمة على الياء فسكنت فاجتمع الساكنان فحذفت الياء وقرأ ابن المسيفع لاقوا الذين). نلاحظ في هذا النموذج أن ابن عطية أحياناً يصرف القراءة تصريفاً لغوياً ومن النماذج السابقة يتبين لنا عناية ابن عطية وتوجيهه للقراءات الشاذة والمستعملة، كما نلاحظ إسناده للقراءات إلى أصحابها بالإضافة إلى إعمال عقله في ما ينقله من هذه القراءات، وتصرفه في أحيان كثيرة بالترجيح، وينزل القراءة منزلتها من التفسير، وهو يميل دائماً إلى عرض القراءات المختلفة ليرجح منها ما يميل إليه مبيناً سبب ميله وأحياناً يكون مجرد ناقل لها.

---

(1) التوبة: 30.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق ج6، ص 116.

(3) البقرة: 14.

المبحث السادس
موقف ابن عطية من الأحكام الفقهية

ذكرنا في ترجمة ابن عطية أنه كان مالكي المذهب، وإماماً من أئمة المالكية وفقيهاً من كبار فقائهم. وذكر في تفسيره أقوال العلماء المالكية في المسائل الفقهية واجتهادات الفقهاء الأخرى من غير المالكية وهذا دليل على أنه كان غير متعصب لمذهبه بل يتحرى الحقيقة للدليل. والنماذج كثيرة في تفسيره المحرر الوجيز منها قوله تعالى: {لاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ }.[1]

يقول ابن عطية: (وقوله تعالى حتى يبلغ الكتاب أجله يريد تمام العدة، والكتاب هنا هو الحد الذي جعل، والقدر الذي رسم من المدة، سماه كتاباً إذ قد حده وفرضه كتاب الله تعالى كما قال: "كتاب الله عليكم" وكما قال: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً}.[2] ولا يحتاج عندي في الكلام إلى حذف مضاف، وقد قدر أبو اسحق في ذلك حذفاً مضافاً؛ أي فرض الكتاب وهذا على جعل الكتاب القرآن. واختلف أهل العلم إن خالف أحد هذا النهي وعزم العقدة قبل بلوغ الأجل). قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وأنا افصل في المسألة إن شاء الله إما إن عقدة العدة وعثر عليه ففسخ الحاكم نكاحه وذلك قبل الدخول فقول عمر بن الخطاب وجماعة من العلماء أن ذلك لا يؤبد تحريماً وقاله مالك وابن القاسم في المدونة في آخر الباب الذي يليه ضرب أجل امرأة المفقود. وقال الجميع يكون خاطباً من الخطاب وحكى ابن جلاب عن مالك رواية أن التحريم يتأبد في العقد في العدة وإن فسخ قبل الدخول. وأما إن عقد في العدة ودخل بعد انقضائها فقال: قوم من أهل العلم ذلك كالدخول في العدة يتأبد التحريم بينهما. وقال قوم من أهل العلم لا يتأبد بذلك تحريم وقال مالك يتأبد التحريم وقال مرة ما التحريم بذلك بالبين والقولان له في المدونة في طلاق السنة وإما إن دخل في العدة فقول عمر بن الخطاب ومالك وجماعة من أصحابه والأوزاعي والليث وغيرهم من أهل العلم أن التحريم يتأبد وقول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وإبراهيم وأبي حنيفة والشافعي وجماعة من العلماء وعبد العزيز ابن أبي سلمة أن التحريم لا يتأبد، وإن وطئ في العدة بل يفسخ بينهما ثم تعتد منه ثم يكون خاطباً من الخطاب، قال أبو حنيفة

---

(1) البقرة: 235.

(2) النساء: 24.

والشافعي: تعتد من الأول فإذا انقضت العدة فلا بأس أن يتزوجها الآخر. وحكى ابن جلاب رواية في المذهب أن التحريم لا يتأبد مع الدخول في العدة، ذكرها في العالم بالتحريم المجتري لأنه زاني. وأما الجاهل فلا أعرف فيها خلافاً في المذهب. حدثني أبو علي الحسين بن محمد الغساني مناولة قال حدثنا عمر بن عبد البر حدثنا الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ عن محمد بن إسماعيل عن نعيم ابن حماد عن ابن المبارك عن أشعث عن الشعبي عن مسروق قال بلغ عمر بن الخطاب إن امرأة من قريش تزوجها رجل من ثقيف في عدتها فأرسل إليها ففرق بينهما وعاقبهما، وقال لا تنكحها أبداً وجعل صداقها في بيت المال وفشا ذلك فبلغ علياً فقال يرحم الله أمير المؤمنين ما بال الصداق وبيت المال إنما جهلا فينبغي للإمام أن يردهما إلى السنة قيل فما تقول أنت فيهما قال: لها الصداق بما استحل من فرجها ويفرق بينهما، ولا جلد عليهما وتكمل عدتها في الأول ثم تعتد من الثاني عدة كاملة ثلاثة أقراء ثم يخطبها إن شاء فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فخطب الناس فقال أيها الناس ردو الجهالات إلى السنة. وهذا قول الشافعي والليث في العدة من اثنين.[1] قال مالك وأصحاب الرأي والأوزاعي والثوري عدة واحدة تكفيها جميعاً سواء كانت بالحمل أو الاقراء أو الأشهر، وروى المدنيون عن مالك مثل قول علي ابن أبي طالب والشافعي في إكمال العدتين واختلف قول مالك رحمه الله في الذي يدخل في العدة عالماً بالتحريم مجترياً فمرة قال العالم والجاهل سواء لاحد عليه والصداق له لازم، والولد لاحق، ويعاقبان، ولا يتناكحان أبداً. ومرة قال: العالم بالتحريم كالزاني يجلد: ولا يلحق به الولد: وينكحها بعد الاستبراء. والقول الأول أشهر عن مالك.[2] في هذا النموذج تعرض ابن عطية لذكر الخلاف القائم بين أئمة المذاهب في مسألة من تزوج امرأة في عدتها، ودخل بها، وذكر سنداً خاصاً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفيد أن الجاهل بالحكم لا يتأبد عليه التحريم، وفي هذا دليل على أنه ليس متعصباً لمذهبه في تعرضه للمسائل الفقهية.

كذلك من النماذج قول ابن عطية في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.[1]

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 311 – 312.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 315.

(1) آل عمران: 191.

يقول ابن عطية: (وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله: الذين يذكرون الله إنما هو عبارة عن الصلاة أي لا يضيعونها. ففي حال العذر يصلونها قعوداً، وعلى جنوبهم. قال بعضهم هي كقوله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ}.[2] هذا على تأول من تأول هناك قضيتم بمعنى أديتم لأن بعض الناس يقول قضيتم هناك بمعنى فرغتم منها). قال القاضي ابو محمد رحمه الله: (فإذا كانت هذه الآية في الصلاة ففقهها أن الإنسان يصلي قائماً فإن لم يستطع فقاعداً ظاهر المدونة متربعاً، وروي عن مالك وبعض أصحابه أنه يصلي كما يجلس بين السجدتين فإن لم يستطع القعود صلى على جنبه أو ظهره على التخيير هذا مذهب المدونة. وحكى ابن حبيب عن ابن القاسم يصلي على ظهره فإن لم يستطع فعلى جنبه الأيمن وإلا فعلى الأيسر وإلا فعلى ظهره. وقال سحنون يصلي على الأيمن كما يجعل في لحده وإلا فعلى الأيسر.[3]

كذلك من تعرض ابن عطية للمسائل الفقهية تفسيره لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ}.[4] {وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} قال ابن عطية: (اليد في اللغة تقع على العضو الذي هو من المنكب إلى أطراف الأصابع لذلك كان أبو هريرة يغسل جميعه في الوضوء. وحد الله موضع الغسل منه بقوله إلى المرافق يقال في واحدها مِرفَق ومرفَق وكسر الميم وفتح الفاء أشهر. واختلف العلماء هل تدخل المرافق في الغسل أم لا قالت طائفة لا تدخل لأن إلى غاية تحول بين ما قبلها وما بعدها. وقالت طائفة تدخل المرافق في الغسل لأن ما بعد إلى إذا كان من نوع ما قبلها فهو داخل. ومثّل أبو العباس في ذلك بأن تقول اشتريت الفدان إلى حاشيته وبأن تقول اشتريت الفدان إلى الدار وبقوله {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}.[1]

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: (وتحرير العبادة في هذا المعنى أن يقال إذا كان ما بعد (إلى) ليس ما قبلها. فالحد أول المذكور بعدها من جملة ما قبلها، فالاحتياط يعطي أن الحد آخر المذكور بعدها. لذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل، والروايتان محفوظتان عن مالك بن أنس رضي الله عنه، روى عنه أشهب أن المرفقين غير داخلين في

---

(2) النساء، 103.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج3، ص 460.

(4) المائدة، 6.

(1) البقرة: 187.

الحد، وروي عنه أنهما داخلان.[2] نلاحظ أن ابن عطية في عرضه للمسائل الفقهيه يفصل القول في المسألة ويظهر ميله للمذهب المالكي دون تعصب.

كذلك من النماذج تفسيره لقوله تعالى: {وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً}.[3] في هذه الآية تحدث ابن عطية عن الذي يصح له التيمم قائلاً: (هو الذي يخاف الموت لبرد الماء ولعلة به، وهو يتيمم بإجماع إلا ما روى عن عطاء أنه يتطهر، وإن مات. والذي يخاف حدوث علة أو زيادة علة والذي يخاف بطء برء فهؤلاء يتيممون بإجماع من المذهب فيما حفظت. والأسباب التي لا يجد بها المريض الماء هي عدم المتناول. وأما خوف ما ذكرناه، قال داوود كل من أنطلق عليه اسم مريض فجائز له التيمم، وهذا قولٌ خُلف، وإنما هو عند علماء الأمة المجدور والمحصوب والعلل المخوف عليها من الماء.[4]

كذلك نجد أن ابن عطية يحتج بالمذهب المالكي، ومثال لذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ}.[5] يقول ابن عطية: (وفروض الحج النية، والإحرام، والطواف المتصل بالسعي، والسعي بين الصفا والمروة. عندنا خلافاً لأبي حنيفة، والوقوف بعرفة، ورمي الجمرة، على قول ابن الماجشون).[1] وأما أعمال العمرة فنية وإحرام وطواف وسعي واختلف في فرض العمرة، فقال مالك هي سنة واجبة لا ينبغي أن تترك كالوتر، وهي عنده مرة واحدة في العمر، وهذا قول جمهور أصحابه. وحكى ابن المنذر في الإشراف عن أصحاب الرأي أنها عندهم غير واجبة.[2]

من النماذج السابقة يتضح لنا أن ابن عطية في تناوله لقضايا الأحكام الفقهية ينوه كثيراً بمذهب الإمام مالك الذي يعتنقه وينتصر له ويميل إليه دائماً ولكنه إلى جانب ذلك نراه يذكر آراء الأحناف والشافعية والحنابلة دون تعصب لمذهبه.

---

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، المصدر السابق ج4، ص 366.

(3) النساء: 43.

(4) ابن عطية، المحرر، ج، ص 75.

(5) البقرة: 196.

(1) هو عبد الملك بن عبد العزيز التميمي الماجشون، فقيه مالكي فصيح، ت: سنة 212هـ، 827م، الزركلي، الأعلام، ج4، ص 160.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق ج2، ص 150.

الخاتمة

ابن عطية ومنهجه في تفسيره المحرر الوجيز دراسة علمية منهجية لحياة علم من أعلام التفسير في القرن الخامس الهجري تناولت فيها تفاصيل حياته ثم وقفت على كتابه المحرر الوجيز لأبين منهجه، وطريقته في التفسير. والبحث يتكون من تمهيد وأربعة فصول. فكان التمهيد عن التفسير وأهميته فتحدثت عن المعني اللغوي والاصطلاحي للتفسير واللون الشخصي للتفسير بالمأثور ثم أهميته وفضله. جاء الفصل الأول في مبحثين الأول عصر ابن عطية، تناولت فيه الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية لألقى الضوء على البيئة التي نشأ فيها ومدى أثرها عليه. وجاء المبحث الثاني وفيه سبعة مطالب تناولت فيه كل ما يتعلق بحياته التي تعكس أثرها في تفسيره، فتحدثت عن نسبه وأصله وكنيته وألقابه ومولده بغرناطة ثم وفاته ومذهبه الفقهي وآثاره العلمية وشيوخه الذين تلقي العلم والمعرفة عنهم، وعن تلاميذه الذين أخذوا العلم عنه ومدى تأثرهم به حيث برزوا إعلاماً في فروع الشريعة الإسلامية.

أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن مجال الكتاب (التفسير بالمأثور)، ثم ترتيب الكتاب وتبويبه، ثم تحدثت عن أثر التفاسير السابقة في الكتاب حيث توصل البحث إلا أنه تأثر بكلٍ من الطبري، والنقاش، والمهدوي، ومكي بن أبي طالب. ثم بعد ذلك تحدثت عن أثر الكتاب في التفاسير اللاحقة، فقد أثر الكتاب في عدد من التفاسير منها: تفسير القرطبي، وابن جزئ، وأبي حيان والثعالبي.

وجاء الفصل الثالث علوم القرآن في تفسير ابن عطية تحدثت فيه عن أهم المباحث في علوم القرآن التي تشكل ركناً أساسياً مهماً في تفسيره مثل آراءه في أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وأسماء السور وفواتحها، ثم الفصل الرابع منهج ابن عطية في التفسير عنيت به لأهميته فضمنته تفاصيل دقيقة عن تفسير الإمام ابن عطية فجاء منهجه معتمداً على خمسة أصول رئيسية هي:

1. اعتماده على الكتاب والسنة.
2. حرصه على المأثور من التفسير.
3. قلة الإسرائيليات.
4. عنايته باللغة والنحو والقراءات.
5. ذكره للأحكام الفقهية.

وبعد هذه الدراسة المفصلة للإمام ابن عطية ومنهجه في التفسير توصل البحث إلى الآتي: -

1. كشف هذا البحث عن جوانب مهمة من حياة ابن عطية فعرف به تعريفاً علمياً دقيقاً، واعتني بصورة خاصة بإبراز صفاته وأخلاقه، وبيان مذهبه الفقهي حيث انتهي البحث إلى أنه أمام حافظ وفقيه ومفسر، كما أحصى بتتبع واستقراء كتبه ومؤلفاته، وقدم البحث عرضاً دقيقاً وإحصاءاً علمياً لأسماء شيوخه الذين تلقى منهم العلم، وتتلمذ عليهم كما عرض بنفس الطريقة أسماء تلاميذه الذين نهلوا منه العلم وتتلمذوا عليه.
2. بين هذا البحث منهج المحرر الوجيز الذي يعتمد على المأثور من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وهو يستفيد من أقوال اللغويين والنحويين في تفسيره لكتاب الله ويعني ببيان الأحكام الفقهية وبهذا نلخص إلى أن تفسيره من التفاسير المأثورة إلا أنه يضم إلى جانب المأثور اللغة والنحو والقراءات وأحكام الفقه.
3. توصل البحث إلى أن ابن عطية في تفسيره المأثور يعتمد بصورة رئيسية وأحاديث الرسول β بحيث يستفيد من ذلك كثيراً في بيان معاني الآيات الكريمة ولا نكاد نجد موضعاً في التفسير إلا ويورد ما اتصل به من الأحاديث بما يبين ويوضح تلك الآيات والملاحظ أنه لا يقوم بتخريج الأحاديث في تفسيره.
4. توصل البحث إلى أنه يقلل من ذكر القصص الإسرائيلية ويختصرها لعدم صحتها وإن كان قد ذكر جانباً منها فلعله قد تأثر بما طغي على كتب التفسير السابقة له.
5. كذلك توصل البحث إلى أن ابن عطية لم يكن معتزلياً كما اتهمه ابن عرفة المالكي ونقله ابن حجر الهيثمي.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم أنيس وآخرون، *المعجم الوسيط*، دار الفكر بيروت، لبنان، بدون ت. ط.
3. أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1388هـ، 1963م.
4. البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، دار الكتب العلمية، بدون ت. ط.
5. بطرس البستاني، *محيط المحيط*، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1983م.
6. الترمذي، أبو عيسي محمد بن عيسي، *سنن الترمذي*، الجامع الصحيح، دار الفكر بيروت، ط2، 1394هـ، 1974م.
7. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، *مجموع فتاوي شيخ الإسلام بن تيمية*، دار التقوي للنشر والتوزيع، مصر، ط 1398هـ.
8. الثعالبي، عبد الرحمن الثعالبي، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ، 1996م.
9. ابن جزي، محمد بن أحمد الغرناطي، *التسهيل لعلوم التنزيل*، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، ط رجب 1416هـ، 1996م.
10. حاجي خليفة، مصطفي، بن عبد الله، *كشف الظنون*، عن اسامى الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1413هـ، 1992م.
11. حسن إبراهيم حسن، *تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي*، دار إحياء التراث، بيروت، بدون ت. ط،
12. حسين مونس، *فجر الأندلس*، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1959م.
13. حمدي عبد المنعم محمد حسين، *التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين*، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط 1997م.
14. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، *المسند*، دار المعارف، مصر، ط 1973م.

15. أبو حيان، محمد بن يوسف أبو حيان، *البحر المحيط*، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ، 1983م.
16. ابن خافان، الفتح بن خاقان، *قلائد العقبات*، تحقيق: محمد محمد صالح أكرم ومحمد الصباغ، المطبعة الخديوية، مصر، بولاق، ط 1283هـ.
17. ابن خلدون، محمد بن خلدون، *مقدمة ابن خلدون*، دار الجيل، بيروت، بدون ط.
18. أبو داوؤد بن الأشعث بن أسحق، *سنن أبي داوود*، مكتبة مصطفي اليابي، مصر، ط1، 1371هـ، 1952م.
19. الداودي، شمس الدين محمد بن علي الداودي، *مطبقات المفسرين*، دار الكتب، العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ، 1983م.
20. الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ، 1996م.
21. الذهبي، محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، مكتبة وهبي، القاهرة، ط6، 1416هـ، 1995م.
22. الرازي، محمد بن أبي بكر الرازي، *مختار الصحاح*، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1986م.
23. ابن رشد، محمد بن أحمد بن رشد، *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*، دار الجيل، بيروت، ط1، 1409هـ.
24. الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، دار الفكر، بيروت، بدون ط. ت.
25. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركلي، *البرهان في علوم القرآن*، دار الفكر، بيروت، ط 1408هـ، 1988م.
26. الزركلي، خير الدين الزركلي، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1999م.
27. ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، *حجة القراءات*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1418هـ، 1997م.
28. ابن سعد، محمد بن سعد، *الطبقات الكبرى*، دار الفكر، بيروت، ط 1414هـ، 1994م.

29. السيد عبد العزيز، *تاريخ المغرب في العصر الإسلامي*، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982م.
30. السيوطي، جلال الدين السيوطي، *الاتقان في علوم القرآن*، دار الجيل، بيروت، ط2، 1419هـ، 1998م.
31. السيوطي، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، دار الفكر، بيروت، ط2، 1432هـ، 1983م.
32. السيوطي، جلال الدين السيوطي، *طبقات المفسرين*، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995م.
33. الشاطبي، أبو أسحق الشاطبي، *الموافقات في أصول الأحكام*، دار الفكر، بيروت، بدون ت. ط.
34. شلبي، أحمد شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 1984م.
35. صبحي الصالح، *مباحث في علوم القرآن*، دار العلم للملايين، بيروت، ط يناير 2000م.
36. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان في تفسير القرآن*، دار الفكر بيروت، ط 1398هـ، 1984م.
37. ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربة، *العقد الفريد*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ، 1983م.
38. عبد الرحمن محمد بن قاسم الحنبلي، *مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية*، دار التقوي بلبيس، بدون ت. ط.
39. عبد الستار حامد، *مباحث في علم التفسير*، وزارة التعليم العالي، والبحث العلمي، بغداد، 1411هـ، 1990م.
40. عبد العزيز بن عبد الله الحميري، *تفسير ابن عباس*، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
41. د. عبد القادر حسين، *نصوص من القرآن الكريم*، مكتبة الجامعة، الدوحة، ط 1407هـ، 1987م.
42. عبد المنعم ماجد، *تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي*، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1973م.

43. عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، القاهرة، 1383هـ، 1963م.
44. عصمت عبد اللاطيف دندش، *الأندلس في نهاية المرابطين*، ومستهل الموحدين تاريخ سياسية حضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1408هـ، 1988م.
45. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: الرحالي الفاروق وآخرون، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، ط1، 1977م.
46. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية، *فهرسة ابن عطية*، تحقيق: محمد أبو الحفان، محمد زاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1983م.
47. ابن عميرة أحمد بن يحي بن عميرة الضبي، *بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس*، مطبعة روخس، مجريط المسيحية، 1914م.
48. عون الشريف قاسم، *في صحبة القرآن*، دار الصحافة للنشر، الخرطوم، ط2، 1979م.
49. ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب، *في معرفة أعيان المذهب*، تحقيق: محمد أحمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث القاهرة، بدون، ت. ط.
50. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن*، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، بدون ت. ط.
51. ابن كثير أبو الفداء، عماد الدين بن إسماعيل بن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط، 1404هـ، 1984م.
52. لسان الدين الخطيب، *الإحاطة في تاريخ غرناطة*، دار المعارف، مصر، بدون ت. ط.
53. لسان الدين الخطيب، *اللمحة البدرية في الدول النصرية*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980م.
54. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن زيد، *سنن ابن ماجة*، دار الفكر، بيروت، بدون، ت ط.
55. محمد الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، دار الكتب، العلمية، بيروت، بدون، ت. ط.

56. محمد عبد الله عنان، *عصر المرابطين في المغرب والأندلس*، مطبعة التأليف، والترجمة القاهرة، بدون، ت. ط.
57. محمد على السايس، *تاريخ الفقه الإسلامي*، دار الفكر دمشق، ط1، 1419هـ.
58. محمد فهد فاروق، *الميسر في القراءات الأربعة عشر*، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1416هـ، 1995م.
59. مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، دار الحديث، القاهرة، ط 1412هـ، 1991م.
60. المقري، التلمساني، أحمد بن محمد، *نفح الطيب من غصن الأندلس*، الرطيب، دار صادر بيروت، بدون، ت. ط.
61. المقري الفيومي، أحمد محمد علي، *المصباح المنير*، المكتبة العلمية، بيروت، بدون، ط. ت.
62. مناع القطان، *تاريخ النشر الإسلامي التشريع والفقه*، مكتبة المعارف، الرياض، ط3، 1422هـ، 2002م.
63. مناع القطان، *مباحث في علوم القرآن*، مكتبة وهبة، القاهرة، ط11، 1421هـ، 2000م.
64. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، *لسان العرب*، دار المعارف، تحقيق: عبد الله علي الكبير، هاشم محمد الشاذلي، بدون، ت. ط.
65. ونسنك، *المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي*، مكتبة بريل ليدن، ط 1936م.
66. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ، 1984م.